أصوات
أدبية

أحلام محرمة

محمود حامد

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

أحـــلام محرَّمة

روايـــة

محمـــود حـــامـد

fb/mashro3pdf

312
أصوات أدبية

fb/mashro3pdf

أصوات أدبية

تعنى بنشر الإبداعات المصرية

الهيئة العامة لقصور الثقافة

- أحلام محرمة - 312 - روايـــة - محمود حامد
- الطبعة الأولى - ديسمبر 2000

المراسلات

باسم مدير التحرير على العنوان التالى :
١٦ أ ش أمين سامى - القصر العينى
القـــــاهرة - رقم بريدى : ١١٥١٦

رئيس مجلس الإدارة
علي أبو شادي

أمين عام النشر
محمد كشيك

رئيس التحرير
محمد البساطي

الإشراف العام
أحمد عبد الرازق أبو العلا

مدير التحرير
جرجس شكري

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

إهـداء كده وكده :

إلى كل السهام التى مزقتنا ،
وجعلتنا ندرك ان باستطاعتنا
التحمل لا الغفران.

إهـداء بجد :

إلى هبـة ربى

محمود

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

السبت	٢ مارس ١٩٩١
Saturday	2 March 1991

fb/mashro3pdf

فارس

fb/mashro3pdf

1

يتزلزل جسدك من ارتطام عجلات الطائرة ، تشَهَقُ التى بجانبك، وينتفض مَنْ بالخلف مردداً اسم اللطيف ، تأتى المضيفةُ تطرحُ ابتسامة الوصول على الجالسين ، تتَطلعْ إلى النافذةِ ، كانت كشافات المطار تعطى رذاذاً من ضوء بطولِ السورِ الحديدى الناشب فى الليل .

الهواء الثقيل فوقَ سلَّم الطائرةِ يلفحك ، ترفع ياقةَ السترة ، وتُهرول ناحية المبنى . تسير حقيبتك الهاندباج إلي كهف إليكترونى ، وتجتاز أنت بوابة أخرى لكشفِ المعادن ، تزعق صفارتها، فتضع سلسلةَ مفاتيحك وتدور حول البوابة لاجتيازها مرة أخرى، تزعق .. تخلع ساعتك، وتخرج أشياءك واحدة واحدة، تزعق، وتزعق، وتزعق ، يتَفَصَّد جبينك عرقاً وتطفر النظرات ، يكتفى ضابط الأمن

fb/mashro3pdf

بأنْ يتحسس بيديه ظهرك ، وبطنك والمناطق الحميمة، وعندما يتأكد أنْ لا شيء ، يبتسمُ ويشير بكفّهِ أن تمر..، تود أن تقول له : أخيراً؟! ، لكنك لا تستطيع.

المسافرون فى صالة الوصول قليلو العدد ، رغم ذلك لا تميّزْ أحداً ،

ظلامٌ عند باب المطار ،

صفوف سيارات الليموزين البيضاء موديل ٢٨٠ إس ، طويلةٌ تَتلألأ . ترمى خلف ظهركَ كل عباراتِ الاستقبال الذى لم يحدث ، وتبتسم متحسراً وأنت تتذكر انشغالك بإعدادها طوال مكوثك بالطائرة .

خطوات قليلة ، وتسمع صوت باب ليموزين يُفتح .. تلتفت :

:- اتفضل .. لوين بتريد نوصلك ؟

تمر دون أن تنطق.. تسمع آخر :

:-إنت ما عندكش نظر ، دا مصري يا مغفّل .

وكنت تنوى أن تركب الأتوبيس :

:- نفسى أشوف الناس بعيونى .

fb/mashro3pdf

2

تتَعَقَّبُ اللافتات العريضة وهى تُولِّى مسرعة : سامسونج ، Coca Cola is it ، لا أحد فى الشوارع سوى الشتاء ..ورذاذ خفيف يهمى فى الصمت . ميريديان كريدى ليونيه ، سيتى بانك ، ليبتون .. ، عزيزى علاء .. أصلُ فى طائرةِ الواحدةِ والنصف صباحَ السبت ، ألتقيكَ على خير . Helnan international Hotel ، ربما هذا الأتوبيس الذى يمرُق ، والسماء التي تبكى وهذه .. أجفا، النوافذ البعيدة حلمٌ . فى فراش غربتك الصلد Sweetman, woman and children نبتون، T.W.A، الخطوط الجوية الأولى فى العالم .

تنظر إلى الساعةِ ، ورأسكَ خاليةٌ من أى شىء ، تتطلع إلى وجوهِ الراكبين وتشعل سيجارة بصعوبة ، ثم

fb/mashro3pdf

تتوالى الأسئلة وتتواتر أسرع من اللافتات الباهرة ، حتى تدهمك أضواء تقترب سريعاً :

(مدينة سندباد للملاهى .. ترحب بالزائرين)

fb/mashro3pdf

3

الشارع قد تاهتْ معالمه وكذلك البيوت ، تتجول طويلا، تتطلع إلى بيوتٍ تداعت ، وأخرى قد سوُيت بالأرض. ينقبض قلبك عندما تقدر عدد الذين يفترض انهم رحلوا .. ولن تراهم ابداً .. تستدير ناحية المقهى الخالي من ضجيجه المعتاد ،

:- أستاذ فارس ؟

تتطلع ، كان عم عبده القهوجى بجلبابه المقلّم وفوطته البيضاء ...

- حمدا لله ع السلامة .. عاش مِنْ شافك..

وأحضان تعتصر الضلوع ..

- إتفضل ..

يضع ذراعه على كتفك ويجذبك إلى إحدى طاولات

fb/mashro3pdf

المقهى . رائحة عرقه خفيفة وعطنة ، تضع الحقيبة على المنضدة ، ولا تجلس .

-إنت مش عارف ؟ الجماعة راحوا مدينة السلام .

تدهش ، وتتساءل ...

- زى ما انت شايف ، المنطقة كلها جات لبيوتها إزالة.

وحده فقط كان المقهى باقياً ، فوقه أطلال البيت ، يرفع ذراعه ويشير :

- الدورين جالهم إزالة .

تهز رأسك وتنظر الى المقهى ، كان الحاج نوح مختبئاً داخل كوفيته ومائلاً بفمه على مبسم الشيشة . تتجه إليه لتصافحه وتصافح الشاب الواقف على النصبة ..

- أُمّال فين عم جمعه ؟

- تعيش انت .. إتفضل

يمسك بظهر كرسىّ يقرِّبه لك ، تتطلع مرة أخرى ، ترى الحاج نوح قد اختبأ داخل عباءته مستسلما للنعاس . وجردل النشارة مطلٌّ من باب دورة المياة الواطىء .

fb/mashro3pdf

تشعر أنك قد عدتَ إلى مكانٍ تركته بالأمس ، لكن عينك تصدمك ، وتنظر أشياءً تبدلت .

:- إزاى ؟

يفهم عمّ عبده أنك تقصد البيوت التى تهدّمت:

- دا كان البيت كله ، لولا المعلّم سلّك أُموره .

يجلس على الكرسى

:- إنت عارف العشرة .. لو سيبنا هنا ، ها نروح فين

وكنت تعرف أيضاً أن تجارة الحشيش التى يمارسها المعلم محروس ، سوف تبور لو غادر المكان .

وتقف طويلاًدون أن تنطق ، تنظر إلى هيئتك فى المرآة المغبشة بالبخار ، لا يبدو سوى طيف باهت الملامح يغريك بالشرود ،تفيق على الشاب الواقف وراء النصبة، وهو يشدّ أنفاساً ، فتكركر الشّصة طويلاً ، وتهب رائحة المعسّل . يزيح عم عبده الفوطة ويدخل يده فى جيب جلبابه ، ويخرج سلسلة مفاتيحه ، يسلّك مفتاحاً صدئاً بصعوبة ويمده تجاهك ..

:- مفتاح البدروم بتاعكم ، أختك سابته علشان لو

fb/mashro3pdf

حبينا نخزّن حاجة كده ، ولاّ كده ، هاتلاقيه على حاله ، والله من ساعة ما مشيوا الجماعة ، مقدرتش حتى أطل عليه ...

تأخذ المفتاح ، تحمل حقيبتك ، يستمهلك ، ويلح ، لكنك تودّ أن تهرب من اختناقٍ ألمّ بك .

– كده برضه يا أستاذ فارس .

تبتسم ، وتربت على كتفه ، يحاول أن يحمل عنك الحقيبة ،

– عيب يا عم عبده ..

تطلب فنجان قهوة ، وقبل أن تمضى خارجاً ، ينادى..

– تليفون جيران الجماعة فى مدينة السلام معايا ، تحب أتصل لك بيهم ؟

تخطو إلى الأرض المبتلة برذاذ المطر ، وتقول :

– بعدين .

fb/mashro3pdf

4

تفتح الباب ، يفجئك الصرير والظلام ، تتهيب الدخول، وتندفع رائحة الغبار الرطب إلى أنفك ، تتحسّس يدك خلوَّ الظلام ، وتطأ قدماك الطرقة باحتراس ، تبدو وجلاً ولا تود أن ترى ما أحدثه الزمن ، لكن يدك تلامس مفتاح الإضاءة دون قصد فتضغط عليه ، يغمر الصالةَ ضوءٌ أصفرُ لاذعٌ ، أرض عارية ، كراس قديمة متكسرة ومتناثرة ، منضدة منحنية على الجدار ، كراكيب جانب الباب الموصل للمنور، الطلاء الملحى تقشر ، وبقايا رسومات الصبا تزدحم فوق الحائط . مركب وشمس ذات زوائد طباشيرية ، فرحة ، للذكرى الخالدة : فرحة، فرحة+ فارس ، لا إله إلا الله، والله أكبر، وعروق السقف المحنية مشروخة عند المنتصف وتوشك أن تنهار .

fb/mashro3pdf

على باب حجرتك أنت وأحمد مرسومة كف الدماء لا تزال ، وبخط صبيانى نحيل من ريشتك البوص : فارس عبد الدايم .. أمير الشعراء .

تفتح الباب ببطء ، فيمتدُّ ضَوء الفَسَحة إلى بلاط الحجرة ، كُتُبٌ مبعثرةٌ علي عراء الأرض.. متربة ومفتوحة ، حين تنحني على إحداها لتلتقطه فتحس بخيوط العنكبوت تلتف حول وجهك . سريرك الإيديال انطفأ لونه من الصدأ ، والمرتبة فوقه ملتفة حول نفسها ، تجلس على حافته الباردة ، تحدّق فى الحجرة المعتمة ، ما خطّته يدك على جدرانها المتآكلة تَقَشَّرَ أكثره ، خبطاتٌ على الباب تفزعك :

– القهوة يا أستاذ فارس

تقوم ، تأخذ القهوة والحقيبة التى كنت قد نسيتها عند الباب ، وترجع ، تُحَدِّقُ فى الجدران والنوافذ والتراب الذى غطى العراء ، بينما صدرك يزدحم بعذاباتٍ لا تنفد.

fb/mashro3pdf

5

رطوبةٌ تفتّتُ العظام ، والجدرانُ تصطكُ مثلك فى هذا الليل . صمتٌ يجوب ، ورائحةٌ نتنة تستقرُّ فى جوفكَ . تنزل المرتبة على الأرض وتنطرح فوقها مرتكنا بجذعك علي الحائط وممدداً ساقيك على البلاطات العارية المتكسرة .

تسمع طقطقة الطلاء الجيري خلف ظهرك ، فتشعل سيجارة وتمد يدك إلى الفنجان ، رشفة ، وبمقدمة قدمك اليمنى تخلع الحذاء عن اليسرى ، ثم تنزع عنك الجوربينْ . تنهي القهوة مع السيجارة وتستلقي ، تشبك يديك خلف رأسك ، وعيناك تحدقان فى السقف .. لا يبدو منه غير شِبَاك العنكبوت الكثيفة مدلاّة منها الخيوط .

fb/mashro3pdf

ها أنت نائم على جنبك الأيمن تحت سـرير أمك العالى، تعابث ما بين فخذيك وأنتَ تستمعُ إلى الاهتزازات الرتيبة والآهات المكتومة فوقه ، قشرةُ اللذة تتفتق عن حزن يتنزىَ .

تضئ الحجرة ، وتشعل سيجارةً ، تحتمي من ذكرياتك بانتكاس الرأس ، نودى :- أحمد .. يا أحمد ..

فلسفة الثورة ، ثرثرة فوق النيل ، عبث الأقدار، الأمل، التاريخ والوعى الطبقى، ملقاة هنا وهناك، والفئران قد شبعت من صفحاتها ، لماذا تبتسم وأنت غير قادر على استعادة ذكرياتك ، تأخذ كتاب « الثورة المغدورة » وفى خيالك يترائى وجه تروتسكى بنظارته وذقنه : « ... ولو انهار الاتحاد السوفيتى يوماً من الأيام تحت الضربات الخارجية وبسبب أخطاء قادته (وهذا ما نرجوا ألا يحصل ابداً) فستبقى للمستقبل حقيقة ثابتة لا تنكر ، وهي أن ثورة البروليتاريا ، وحدها ، مكنت بلداً متأخراً من الحصول على نتائج لا مثيل لها فى التاريخ ، فى

fb/mashro3pdf

غضون ٢٠ سنة .. » تلقى الكتاب الذى ينهبد مثيراً زوبعة من غبار .

:- بص النور منور فى البدروم .

تحاول ان تلملم الاعمال الكاملة لمحمود درويش ، صورت الجزأين بلا تردد رغم حجمها ،

:- ورينى كده.. يكونش عفريت ؟

ما تبقى منهما ندَّاه بول الفئران وصفّره، اخذت تبحث فى الأوراق المبعثرة والتراب عن «فضة الموت الذى لا موت فيه».

:- تِفْ من بقك.. اعوذ بالله.

فتهرب حشرات صغيرة وتفر، اين : نسيان أمر ما صعود نحو باب الهاوية،

هذا أنا أنسى نهاياتى واصعد ثم اهبط ..

اين يمتحن الصواب ؟

- تِفْ من بقك .. اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

الإطار البنى الذى كنت قد بروزت به صورة الزعيم ، فارغٌ إلاّ من زجاج مهشم وخيوط عنكبوت ، ينادى الجار

fb/mashro3pdf

على جاره ، فتنفتح الشبابيك على البرودة والذعر .

– فيه حدّ فى بدروم عمك عبد الدايم ؟

– مش عارف .. استنى كده أمّا اسأل عبده ..

تقوم ، تطفئ الأنوار ، وتسحب أنفاساً من السيجارة

fb/mashro3pdf

6

منذ متى وانت تفكر فى السفر ؟

فى الثانوية ، أم بعد ان التحقت بقسم الصحافة ؟

كنت تقول دوماً أن أى عمل بالخارج لا يتناقض مع كرامتك ، ونظرة الناس لك . أما في مصر، فإن الاحتقار أو الحقد يحاصرك .. كنتَ تكرهُ حالَك، وحال أهلك . وحال البلد الذى لم يعد بلدك ، وتقول : أزمتنا أزمة وعى، فلا أحد يدرى ولا أحد يعرف ، الكل مشوش ، حتى النخبة ، طَالَ وعيها التشويه ، بفعل الشيخوخة أو التوجه.

هل كنت ساخطاً ؟ .. بل رافضا ايضاً لكل شىء .. حتى دواوين صلاح عبد الصبور التى كنت تعشقها . لم يتبق منها غير (احلام الفارس القديم) . رفيقك فى عذابك الأبدى أينما حللت ، لم يفارقك ، حتي بات مهترئاً،

fb/mashro3pdf

ومتآكل الحواف ، من عرق يدكَ ، وبقايا الدمع الذى كان ينثالُ عليه، وعندما هربت بجلدك ، أو توهمت أنكَ هربت بجلدك من الحال الذى لا يسر ، نسيتَ الشعرَ أول ما نسيت ، ونسيتَ نفسك فى المنتهى .

fb/mashro3pdf

7

يوخـزك البـردُ طويلاً. تتكورُ حـول نفـسك وتلتفُّ بالبطانية الممزقة ، لكنك تستيقظ فى عمق الليل ، وتفتح حـقيـبتك ، ترتدي كل مـا بهـا من مـلابس، بعضـها فـوق بعض ، وتتدثر بالبطانيـة ، ترى قطةً وديعـة تقـتـربُ منك، تتمسح فى ساقيك ، ما إن تحملها حتى ظلت تكبر وتكبر بين يديك ، وأنيابها تزداد شراسة ، عيناها تجتذب عينيك حتى تبتلعك فى ظلمة جوفها ، تستيقظ مختنقاً ، والدوار يسيطر عليك ، ويداك متصلبتان ، تدفع عنك الهواء .

لم تشـعـر بالدفـء ابداً فى ظل الحـائط الرطب ، لكنك لا تنتبـه ثانيةً إلا على أصـوات الباعة والسيـارات.. والاطفال وهم يذهبـون إلى المدارس ، يأتى صـوت الشـيـخ صـديق المنشاوى من مذياع المقهى عفياً، شجياً " وعباد الرحمن الذين يمشـون على الارض هوناً، واذا خـاطبـهم الجـاهلون

fb/mashro3pdf

قالوا سلاماً" ثم الصوت المسرحى المهيب للمذيع: "عباد الرحمن".. ويخترق صياح الأطفال صوت المذياع ، وعبده ينغم صوته الصاحى " وعندك واحد على بوسته " تظل فى مكانك ، مفتوح العينين دون ان تنهض، تنصت للاصوات الحادة والطازجة التى تعينك علي الهروب من عينك المقروحة بسبب النوم على المرتبة المتسخة .. تتحسّس نظراتُك السقف والجدران.. تبدو فى ضوء الصباح كالحة وممتلئة بالعنكبوت .. تزيح البطانية ، وتخلع الملابس التى ارتديتها وأنت نصف نائم . تشعل سيجارة ، وتمتص أنفاسها على الريق ، يصيبك دوار خفيف ، تتمطع ، وتذهب الى الحمام ، تصدك رائحة رطوبة عطنة وبول قديم . ترى أبراصاً وصراصير وحشرات لا حصر لها تتفرق من الضوء فور سماعها صرير الباب واحتكاكه بالبلاطات الناتئة، تغلقه ثانية، تبحث عن خرقٍ، تحشرها عند عتبته ، ليس لذلك جدوى ..فهناك شقوق واسعة بين الألواح الخشبية الطولية للباب.. تتذكر تلصصك منها على اخوتك وأبيك وهم يستحمون . ولا تبتسم – كعادتك – للأطياف التى تمر، ترجع إلى حجرتك ، تأخذ الفوطة وتذهب الى المقهى

fb/mashro3pdf

8

يبدو المقهى خاليا من الزبائن الذين تعرفهم ، فى الخارج منضدتان مضمومتان إلى بعضهما .. يجلس عليهما صنايعية المعلم حبشى النقاش . يقرقرون الشيشة.. والحاج نوح ينام على كرسيه منذ أمس .. جاء المعلم محروس وأخذ مكانه خلف البنك القابع فى ركنه الأيمن جانب المرآة الممتدة . يستقبل ماركات عم عبده عن الطلبات التى تنزل للزبائن، ويدخن من شيشة خاصة به لها أحجار عريضة، لا ينطفىء جمرها، ابداً.. تتصافحان وتتعانقان، يطلب شاياً، وعندما يعلم أنك مستيقظ لتوك، يطلب افطاراً بصوته الخشن الغليظ، ويهَمَّ بأن يحضر كرسياً بنفسه لتجلس بجانبه، تستمهله، فيحلف بالطلاق،

fb/mashro3pdf

تخبره انك لم تغسل وجهك ، فيفرك كفيه ، ويطلب ان تسرع لانه فى شوق لكى يعرف ما حكاية الكويت والعراق بالضبط ، تدخل دورة المياه وتزيح الخُرطوم الطويل الذى يعوق إغلاق الباب ، بينما المعلم محروس يدير مؤشر المذياع .

فى الحمام الضيق ترى جردل النشارة البلاستيك الذى رشَّ منه عم عبده ، وفوقه جردل المياه ملفوفٌ فيه الجزء المتبقى من الخرطوم ، فوق رفٍّ صغير أجزاء من شِيْش قديمة ، ونصف الحمام تبتلعه رصة كراسٍ مكتوب على ظهرها قهوة المعلم محروس ..

تأتيك الأخبار التى يذيعها البرنامج العام ، يتكرر فيها خبر امتثال العراق لقرارات الأمم المتحدة وانسحابه من الكويت دون شروط ، وقبول مبدأ دفع التعويضات عن خسائر الغزو

:- هذا وقد أبلغ العراق موافقته على جميع الشروط فى اجتماع المندوب العراقى فى الأمم المتحدة مع المندوب الامريكى ، أما القضية الفلسطينية ، فقد أَقَرَّ البيان

fb/mashro3pdf

الصادر عن حكومة مجلس قيادة الثورة بأن أمْر حلها مرهون .....

تشد السيفون ، وتضع رأسك تحت الصنبور لدقائق . وتخرج .. هناك صينية كبيرة موضوعة فوق أحد المناضد فوقها أطباق الفول والطعمية والبطاطس والسلطة، يقوم المعلم ويجلس عند المنضدة بينما تفرك رأسك بالفوطة وتنظر فى المرآة . تمَشِّط شعرك الخشن بأصابعك وتجلس ، ينادى المعلم علي عم عبده ، يأتى ويستكبر الجلوس ، يتناول رغيفاً ويعدَّ ساندوتشين ، يعطى للشاب الواقف على النصبة واحداً ، ويقضم الآخر وهو يتابع طلبات الزبائن .

تأخذ لقمتين من طبق الفول حتى لا يغضب المعلم محروس ، ثم تشعل سيجارة . تتوق حقاً لكوب الشاى الساخن ، وعندما يحضره عم عبده ترشف منه بهدوء محاولاً الهروب من الأسئلة ، يمضغ المعلم ويرمقك بعينه منتظراً التحدث . يطول صمتك فيسألك عن أخبارك هناك ... وهل تذكر ما كنت تفعله هناك ؟ .. يسألك ايضاً عن

fb/mashro3pdf

رأيك فيما يحدث ، تخبره أنك لا تدرى شيئاً وربما الأخبار التي يعرفها أكثر .

:- دلوقت بيقولوا أنه انسحب .

تهز رأسك فيقول :- طيب لزمته ايه انه بِسَوّأ سمعة العرب كلهم قُدَّام العالم ؟

تشرد ولا تنطق للحظات ثم تقول : - الطمع .

:- آه والله صحيح ، الطمع ، بس هو كان فاكر امريكا ها تسكت؟

:- كان فاكر مصر و روسيا هايقفوا جنبه .

:- ده كلام !!

يضغط بالماشة فوق الجمرات ، ويأخذ أنفاساً عميقة.

:- طبعاً بعد الأخبار الجديدة دى بقت القوات البرية ما لهاش لازمة ؟

تبتسم وتقول ان الحرب قد إنتهت من الناحية الفعلية ، واصبحت مهمة دخول القوات البرية ، فرض السيطرة وإزالة الالغام . يأخذ نفساً عميقاً ، ثم يقول من بين الدخان الخارج من فمه:

fb/mashro3pdf

:- بس سيبك انت . حرب آخر شياكة ، كله بالقلم والمسطرة ، بيسموها إيه ؟

:- حرب اليكترونية ؟

:- أيوه .. حرب اليكترونية. عقبالكم ياللى فى بالى!

يزيح أحد الزبائن فمه من فوق الشيشة : - مين يا معلم؟

: - هايكون مين يعنى. مش الزمالك يا ناصح.

fb/mashro3pdf

9

السماء غائمة ، وحُبلى بمزيد من المطر ، ربما أكثر مما انهمر ليلاً ، يااااه . سماء غائمة وحبلى بالمطر ، ونشارة مفروشة فوق الارض ، وشيوخ يختبئون من الشتاء فى معاطفهم وتلفيحاتهم الثقيلة .

صمتٌ . وتفكير ، وكلام كثير تتهرب منه . وصدرٌ منقبضٌ من شىء لا تدريه . تطلب من عم عبده فنجان قهوة مضبوط ، يقول ان ما أكلته ليس كافيا . تخبره أنك إعتدت الفطور متأخرا . ونفسك تهفو إلى سلطانية بليلة من عم شوقى اللبان .

:- تعيش انت . شوقى مات من زمان . ابنه بقى مكانه دلوقت ، بس بيفتح متأخر . اقولك . عليك وعلى محل الحلويات اللى على اول الكَفْر .

fb/mashro3pdf

تجدها فرصة للهروب ، فتستأذن من المعلم الذى كان قد انتقل إلى مكانه خلف البنك .. ترمي الفوطة فى البدروم . وتلتقط النظارة والساعة من جانب المرتبة ، وتجذب الباب خلفك .

fb/mashro3pdf

10

البيوت المتداعية مغلقة النوافذ على عوالم لا حصر لها ، ولا شيء سوى الملابس النظيفة على حبال الغسيل ، وإيريال التليفزيونات والكراكيب تطل من الشرفات . تمر من الشوارع التى تبدو ضيقة اكثر مما عهدت ، كثيرون لا تعرفهم ، حتى الذين تعرفهم ليس لديك رغبة لتوقفهم أو تلفت انتباهم ، تذهب إلى باب الكَفْر ، تعرف ان هناك على اليسار عم عيد البقال .. كنت تشحذ منه الشرش لتضع أُمك فيه الجبن الاسطنبولى ، بعده عم احمد الفوال تتذكر ان عم عيد . كان دائما يغالط فى الميزان ، ويغش فى الحساب ، لذلك كان الناس يسمونه – رغم طيبته – عيد الحرامى ، وقد كان عم عبده يستحل سرقته ، فينهب الفحم والمعسِّل والشاى والسكر ، ويتباهى بذلك امام رواد

fb/mashro3pdf

المقهى ، ويقول ضاحكا :- هُمَّ اللى بيقولوا عليه حرامى..

كنتَ احيانا تغامر ، وتشارك حسين حتي يكُفَّ عن الالحاح ، فتذهبان سوياً إلى الدكان لشراء رغيف فينو أو رغيفين . وعندما يدخل عم عيد لاحضارهما . تسرق أنت وحسين من الزيتون المعروض فوق الرخامة ، أو تأخذ رنجة من الصندوق الخشبى المستند على زجاج الفاترينة.

تلعن فى سرِّك حسين وانت تبتسم ، تتجه إلى اليمين . كان فى الناحية المقابلة لباب كفر الطماعين السور الممتد لجامعة الازهر .. وحركة السيارات تملأ الشارع ، تلقي السلام على من فى مقهى برعى دون أن تتأكد من أحد تعرفه ، تلاحظ ان واجهته قد تم تجديدها بديكورات أرابيسك . حتي يلائم السائحين واضيف له ركن لبيع المشغولات النحاسية . بعد المقهى مباشرة محل مكتوب عليه " سويت لاند " وتورتات وأصناف عديدة من الحلويات الافرنجى معروضة خلف الزجاج . تذكر أنك كنتَ تشترى منه البسبوسة وأنتَ عائد من مدرستك ، وتظل تماطل وتطلب من البائع أن يتوصى.

fb/mashro3pdf

كان المحل مفتوحاً لتوه . وبنتاً ترتدى تابيراً أحمر يبدو أنه يونيفورم المحل . تمسك ممسحة جلدية وتسحب الماء من فوق الأرضية الرخامية المعروقة باللون الرمادى . ترفع رأسها تنظرك عندما تطول وقفتك أمام المحل ، تتذكر الأيام الخوالى . حتى تسحب البنت بقايا الماء الى البالوعة . فى الداخل كان هناك ركن للحلويات الشرقية وآخر لعمل الفطائر والبيتزا ، تجيل النظر لعلك ترى مكان اللبن او البليلة ، فلا تجد . تمشي بينما كانت البنت ترمقك وهى تضغط بيديها على ورقة جريدة لتكورها ثم تُلَمِّعْ زجاج الفاترينة..

تتَرَحَّمْ على عم شوقى ، وأيام كانت أمك توصلك إلى المدرسة الإبتدائية فى الإمتحانات . تذهب بك إليه لتشترى سندوتشين حلاوة بالقشطة وتجعله يلفُّهم ، حتى تأكلهم فى فترة الراحة بين الإمتحانات ، ساعتها يُدْخِل مسبحته فى معصمه المُشعر ويضع يده فوق رأسك ، ويقرأ آية الكرسى ثم يدعو لك ، وقبل أن تمشى مع امك ، يستوقفها وينهض بجسمه البدين ، يملأ كوبا طويلاً

fb/mashro3pdf

بالحليب ، ويمده لك :-

:- بركة سيدنا الحسين .

وكـانت أمك تعـرف انه لن يـأخـذ - بـالطبع - ثمنه ، فتدعو له بالصحة وطول العمر .

fb/mashro3pdf

11

تشرب القهوة وأنت تدخن الشيشة ، تطلب من عم عبده أن يبحث عن أحد ينفض البدروم ، يسألك عن أهلك.

:- مش ها تقعد معاهم ؟

تقول انك سوف تزورهم هناك بالتأكيد . لكن المكان ضيق . ولا تريد إرهاق أحد

: - هما يومين وماشى يا عم عبده .

يأتى برقم تليفونهم فى مدينة السلام وبينما تكمل الحجر الثالث . تطوي الجريدة التى استعرتها من المعلم محروس ، وتعطيها له

:- عن إذنك يا معلم .

يخبرك ان هناك موضوعاً يريد أن يتكلم معك بخصوصه.

:-ها أعمل شوية مشاوير ، وراجع على العصرية .

fb/mashro3pdf

تلقي السلام ، وتذكّر عم عبده بالبحث عمن ينظف البدروم .

تشتري مجموعة انفلونزا من صيدلية الأندلس على أول كَفر الطماعين ، تبتلعها بماء استأذنت الصيدلى ان يحضره . تمشي، تنظر زحام الناس والسيارات .. مختنقا بصخبه الذى كنت تذكره هناك وتحن إليه .

كانت تصعد إلى الأتوبيسات بصينية الشاى ، فتراها من باب الأتوبيس والسائق يمد يده إلى صدرها منتهزاً فرصة انشغال يديها، تبتسم وهى ترده ، تضع الصينية وتهرول نازلة ، تراك أمامها ، فتحدق وَجِلَة ثم تهرول نحو أبيك وهى تعرج ..

كنت ترى بالموقف سيدات وبنات . سيرتهن على كل لسان . وتحس أن أختك ليست إلا واحدة منهن . فتذهب إليها وغضبك يتطاير، تَهُمُّ بضربها لكنها حينما تصرخ وتجرى هاربة منك ، ترى ساقها السائبة من شلل الاطفال فتتمنى ان تبكى .

fb/mashro3pdf

12

دوما تنفض فى وجهك الهواجس كى تفتك بك .....
تُخْلى ذهنك بالتوقف عند واجهات المحلات . تتفحص المعروضات دون ان ترى إحداها ، ويدهمك الشعور بالضياع الذى كثيراً ما يواتيك . كأنك تبحث عن الحزن برغبةٍ وتتقصاه .

قبل ان تصل الى فاترينة الشريف للبلاستيك تسمع من يناديك ، تستدير ، كان حسين بابتسامة مندهشة ، يقف عند دكان الزغبى ممسكاً بقرطاس فارغ ، ينتظر دوره لشراء الطعمية ، تذهب إليه بفرحة متأججة وتتعانقا حتى يتكرمش القرطاس فى يده .

يسألك : انت فين ؟

يسبّ أهلك بفرح اللقاء المفاجىء ، تخبره انك لم

fb/mashro3pdf

ترجع من السفر إلا الليلة الماضية ، يقسم أن تأكلا معاً وتعيدا أيام الامتحانات، تحاول أن تتملص لكنه يصمم ، تخبره انك أفطرت لتوك مع المعلم محروس ، فيقسم بتربة أبيه وأمه أن لا يتركك إلا بعد أن تأكل لقمة . ويأخذ قرطاساً آخر ويقف امام طاسة الزيت الالمونيوم الكبيرة المسودة ، والطعمية بداخلها تطش وتخرج فقاقيع الغليان، يأخذ حسين نصيبه ويلتقط من على حافة الرخامة طبق الفول بالزيت والليمون والدقة . ثم تذهبان الى مقهى برعى .

يغمس اللقمة فى طبق الفول ويضعها فى فمه ويرقبك بعينين شاردتين :-

- فاكر ؟

كنتما فى الاعدادية تحبان تلميذتين جارتين لحسين. كانتا تخرجان معا فى نفس وقت مرورك عليه لتذهبا سويا الى المدرسة . كان حسين يحب واحدة منهما، فوجدت نفسك تحب الاخرى، فقط لأنها بنت ، ولأنك كنتَ تراها كل يوم. ظللتَ فترة طويلة تعد نفسك كى تبتسم

fb/mashro3pdf

في وجهها .. وبعد فترة طويلة قلت لها صباح الخير ، وربما شكت لحسين منك فقد قال لك بعدها ساخراً :- دا انت بقى واقع يا روح امك ؟

وعند عودتك فى اليوم التالى كان حسين قد أعَدَّ اللقاء ، دون ان يخبرك . فوجدت نفسك ماشياً بجوارَ البنت التى حلمت بها طويلا ، وكتبت فيها قصائد من القلب ، ولم تستطع أن تعبر لها عما بداخلك . كنت صامتا طوال الطريق ، فظلت هى تحتضن كتبها وتبتسم في صمت منتظرة حديثك .. ومع مرور الوقت احسست باليأسَ .. رغم ان حسين كان قد قطع شوطاً كبيرا مع صاحبتها . وفي الامتحانات اعتدتما ان تأكلا الفول علي عربة عم عثمان قبل الذهاب . فكانت البنتان تمران بجانبكما وهما ذاهبتان الى امتحاناتهما خائفتين مندهشتين من شهيتكما المفتوحة فى صباح الامتحانات . وقد صدقت دهشتهما عندما نجحتا وانتقلتا الى الثانوى ، ورسبتما معاً لتظلا طفلين فى الاعدادية .... نسيتهما بعد ذلك ، ولكنك ابدا لم تنس عربة عم عثمان وأكلة الفول بالبصل

fb/mashro3pdf

فوقها قبل الذهاب إلى الإمتحانات .

تقضم قرص الطعمية وتومئ له : فاكر !

يمَدَّ عود الثقاب ، فتشعل سيجارة ، تأخذ نفساً عميقاً وتقول .

:- أيام ...

يُردّ حسين :- أيام سودا بعيد عنك ..

تُحدِّق فيه .. لتجده أمامك بشعر إمتد إليه الشيب ، ووجه بدت فيه غضون ليست قليلة وأسنان أكلها السوس . أما شاربه كما هو خفيفاً جداً ومُحْرِجاً لصعيديته.

كانت سترته زرقاء، على جيبها الأعلى علامة بتروجاز مُطَرَّزَة بالابيض الذى بهتت زهوته . قلت له :- انت فين دلوقت ؟

:- لسة شغال عند العفِش .

وكان حسين يعمل في أجازات الدراسة عند العفش كهربائى السيارات ، وبعد أن توفى والده هجر الدراسة واستقر فى عمله .. تبادلتما النظرات المتأملة .. وأنت تدرك انه يرى فيك أشياء تبدلت .

fb/mashro3pdf

:- اتجوزت ؟

:- وطلقت !

يقولها باستهانة ، وبنبرة ضيق تجعلك لا تسأله عن التفاصيل ، تنتبه الى التليفزيون الذى بدأ فى نشرة الاخبار .. صوت رمى النرد على الطاولة يتداخل مع أبواق السيارات وضجيج المكان فتلتقط بصعوبة المشاهد من داخل الكويت المحررة مع بداية الهجوم البرى ، بعد ذلك أعلن المذيع ، عن اذاعة حوار عقده الجنرال شوارتسكوف، القائد العام لقوات التحالف ليُعقب على إنسحاب العراق من الكويت . طلبتَ من حسين ان تنتقل إلي منضدة بالداخل قُرْبَ التليفزيون حتى يتسنى لكما معرفة ما استجد من أمور :-

:- انت عايز تعرف ايه ؟ . كلب وراح .

فتبتسم وتعلل أنك تريد الابتعاد عن ضوضاء الخارج . يبدأ المؤتمر المنقول عن CNN بينما تصافح المعلم أحمد البرعى الذى يسألك عن صحتك وصحة أولادك . تحدثه وعيناك معلقتان على التليفزيون فى نفس الوقت الذى

fb/mashro3pdf

يتحدث فيه حسين مع زبائن آخرين جذبتهم النشرة ، ويشاركهم الفرح بأن الهجوم البرى الذى بدأ يعتمد اساساً على القوات المصرية .

تجلس وتطلب من حسين أن يلتفت إلى وجه شوارتسكوف المبتسم وهو يصرح .

:- إن أهداف الضرب الجوى للعراق جرى توسيعها ، وهذا صحيح ، لكن التدمير لم يلحقْ بأبرياء ، فالشعب العراقى كله ليس بريئا لسببين : السبب الأول إن كثيرين من أفراده تحمسوا لغزو الكويت . والسبب الثانى ان الشعب العراقى قابل بحكم صدام .

يتحدث زبون مع حسين وهو يشد أنفاس الشيشة .

:- يستاهلوا ..ما همَّ كمان اللى قتلوا سيدنا الحسين زمان ..

تحاول ان تخلى ذهنك حتى تنصت لما يتبقى من المؤتمر لكنه لم يضفْ غير جملة واحدة .

:- اننا فى حاجة الى تعريف جديد لمعنى المدنيين الأبرياء .

fb/mashro3pdf

تشعل سيجارةً وتتأمل عبارته .. تود ان تفتح صدرك للهواء فتستأذن من حسين ان تمضى .

يقول : – إستنى اما النشرة تخلص .

ويطلب شيشة . تضع ساقاً فوق الأخرى ، وتتأمل سحب الدخان القابعة فى سقف القهوة الواطىء . تفكر ان تقوم لتشاهد المعروضات النحاسية خارج القهوة . لكنك تتكاسل كعادتك.

:– أخبار أخوك إيه ؟

يأخذ نفسا عميقاً من الشيشة حتى لا ينام الحجر فى بدايته ويرفع رأسه وهو يطلق الدخان . ثم يقول بحزن.

: – ربنا يفُك سجنه ، قفشوه ولاد الحرام وهو بيصرَّف حشيش الحاج محروس عند جنينة الدراسة . فاضل على خروجه .....

تمر امرأه أمام المقهى مرتدية عباءة سوداء وتضع كحلاً كثيفا حول عينيها، يخرج حسين من تكشيرته ، ويصيح

:– ربنا يهد القوى !

fb/mashro3pdf

فيلتفت رواد المقهي سريعا ليطولوا نظرة قبل أن تمضى، وتتواتر تعليقات ، فيزيد تقصعها . وتلمحها تضع يدها فى جيبها لتبرز تكويرة ردفيها . لكن الزحام غيبها .

يقول حسين وهو يتابع المؤتمر خلال النشرة ومبسم الشيشة داخل فمه .

: عارفها ؟

:- مش فاكر .

:- زينب . بنت عمك عوض.. اللى كان بيقف بعربية الفيشار عند مدرسة جوهر اللالا . جوزها فى العراق من سنتين . وبعد اللى حصل . لا حِسْ ولا خبر . واهو فايت لها عيلين .

ثم غمز بعينه .

- إضطرتْ بقى تِلَقَّط رزق عيالها بمعرفتها .

يطوح جار لكما بعقب سيجارته تحت عجلات السيارات دون أن يطفئه . يزعق فى حسين :- ربنا يستر على ولايانا . شوف النشرة احسن .

وابتسمتما بينما كان وزير الدفاع الأمريكى ريتشارد

fb/mashro3pdf

تشيني يعقب على كلمات شوارتسكوف، وصوت المترجم ذى اللكنة الخليجية واضح النبرات .

:- لا ينبغى ان يراود أحدنا الشك فى اننا فعلنا ما كان لا بد ان نفعله . لقد كنا نريد ان نحدث اكبر قدر من التأثير على المجتمع العراقى ، وكنا نتمنى لو أننا لم نفعل ذلك . ولكن اذا كان علينا ان نحقق اهدافنا بأقل قدر ممكن فى الأرواح الأمريكية ، فلا أظن أنه كان أمامنا اختيار آخر . ولو كنا قد اكتفينا بالحد الادنى من استعمال القوة الجوية ، لكان عدد العائدين من أفراد قواتنا فى الخليج أحياء . أقل من العدد الذى عاد إلينا بالفعل .

ساد الصخب وتبودلت تعليقات .

:- بس انت اتغيرت قوى يا فارس .

نظرت إليه بدهشة :- انا ؟ يا ريت .

ولا تدرى كيف الهروب منه ومن نشرة الاخبار ومن الضجيج الذى لم تعد تألفه .

:- وناوى تتجوز قبل ما تسافر ؟

fb/mashro3pdf

ضحكت بمرارة من السؤال المفاجيء .

:- اتجوز .. انا لسه عملت حاجة . وبعدين ده كله أسبوع لا طلع ولا نزل .

- بقى دافع دم قلبك وجاى من آخر الدنيا علشان أسبوع

تحاول أن تقرأ قل أعوذ برب الفلق فى سرِّك . لكنك شككت فى طهارتك :-

:- ليه .. هو انت فاكر إيه ؟ دا أنا جاى على حساب نقيب الصحفيين علشان الانتخابات .

- وفيه غيرك كتير جُم على حسابه ؟

- يووه ! ما تعدش !!

يشرد :- دا على كده معاه فلوس كتير بقى !

لم تعقب ، ودُسْتَ عقب السيجارة . هل كانت ابتسامتك الباهتة تكفي ؟

- على كدة لازم نعمل معاك واجب فى مجيتك اللى زى قلتها دى .. ايه رأيك فى البت زينب

ويغمز بعينه وهو يشيرِ باتجاه الطريق .

fb/mashro3pdf

- يا ريت .

:- بسيطة .. انت وراك حاجة النهاردة .

لم تسأل نفسك هذا السؤال .. فالانتخابات التى جئتَ من أجلها غداً .

:- اتفقنا ، ست سبع قزايز بيرة ، وأكلة كباب وكفته من عند الدهان ترُم عضمك ، وإوعى وشّك .

: - ميّه ميّه !!

كنت تجاريه ، فوجدته يفرك يديه ،

:- ايدك على خمسين جنيه وانا ارتب كل حاجة.

تضحك ، وتنظر فى الساعة . تهم بالقيام لكى تهرب من المصيدة ، فيمسكك من ذراعك .

:- ايه يا عم انت . لسه بدرى .

تحاسب القهوجى بينما حسين يحلف برحمه أمه ان هذا لا يصح ، وعندما تمَدَّ يدك لتصافحه يقول وهو ينظر الى عينك باهتمام

:- والخمسين جنيه ؟

ساعتها فقط ، بادلته النظر ، لتلا حظ الهالة السوداء حول عينيه

fb/mashro3pdf

النظرات الزائغة . تقول لنفسك .

: ربما يريد ان يأخذ حقنه ماكس على حسابك .

:- اما ارجع من مشواري ها اعدى عليك عند العفش.

:- طبْ هات عربون دلوقتى اتفق مع البت .

:- قلت لك لما ارجع .

يلَمَّ نفسه ويقول بسرعة : خلاص . ماشى .. هااستناك . يصافحك بحرارة ، ويبقى حتى ينهى حجرين المعسل ، صحتَ بالسلام عليكم . ليرد المعلم أحمد البرعى بود بينما حسين لا يزال واقفاً ممسكاً باللاى ذى القطيفة الحمراء . واغنية وطنى حبيبى الوطن الاكبر ،تسترسل مع لقطات ال CNN المعادة عند دخول القوات البرية لتحرير الكويت .

fb/mashro3pdf

13

عندما وصلتَ الى السنترال كان تلاطم المشاعر يخنقك، واحساسك بالاغتراب يجعلك تتمنى البكاء .. تَعُدّ الواقفين أمامك لتتحدث فى تليفون العملة الوحيد غير العاطل ، وتتقدم فى الطابورَ بخطى بطيئة . كنت قد رتبتَ ارقام التليفونات فى ورقة مستقلة وأمامها أسماء من تود مقابلتهم ومعرفة أخبارهم . هل تريد أن تعيد ذكريات بدأت تخبو وأمانى لن تتحقق ؟

يأتى دورك فتقول : ابدأ بسهام . تضغط على الأرقام ورجفة يدك لا تَخْفَى .

يقتحمك الصوت الآلى :- هذا الرقم غير موجود بالخدمة . من فضلك تأكد من الرقم المطلوب ،

تكررَّ المحاولة ،

fb/mashro3pdf

سهام ، سهام ، سهام حتى الموت ، حتى اخر قطرة من دموعك ، سهام، وشعرها الأسود الطويل كأنه الليل ، وعينها التى لا نهاية لعمقها ولا لنظراتها المقتحمة المتبجحة ، عندما سألتك بغنج : بتحبنى.

قلت لها بهدوء ومفاجأة :-

:- لا تنسى خالد .. انت مرتبطة .

هل كنت تذكرها أم تذكر نفسك ؟

نفس الصوت الآلى . تنادى من مكانك على موظف السنترال وتصيح .

: -أرقام العجوزة اتغيرت ؟

يشير برأسه نافيا وهو منكفىء على تسجيل فواتير التليفونات الدولية ثم ينادى على رقم ، يقول لصاحبه ان يتجه لكابينه رقم ٤ . تكرر المحاولة . وانتَ تقول : التالتة تابته .

عندما رأيتها لاول مرة كانت تمسك مروحة صغيرة مزركشة برسوم يابانية، وتدفع الهواء فى عصبية ، أما آخر مرة فكانت تضحك فقط.. تضحك، كانت معك على

fb/mashro3pdf

الكورنيش.. ذكرتك بخالد.

: – بتحبيه ؟

: – طبعاً.

:– تقدرى تستغنى عنه ؟

:– خالد جوزى ، فاهم ، جوزى .

غمغمتْ ونظرت طويلاً باتجاه النيل .

هذا الرقم غير موجود ... تفكر ، وقبل ان تترك مكانك، تنظر خلفك ، تعاظم الطابور ، والغضب من بعضهم بادٍ، تقرر أن تستثمر وضعك ، وتفتح الورقة .. تطلب الرقم الذى أعطاه لك عم عبده .

يجيئك صوت تجهله . تسأله عن أبيك :–

:– ثانية واحدة أنادى لك حد من هناك .

تنتظر حتى تأتى هناء ، ويبدو أنها جاءت تحمل طفلاً ، صوت ندائه عليها كان يخترق السماعة بينما تتكلم . تضع عملة اخرى وتنتظر حتى تفرغ من هدهدتها للطفل، وتسألها عن أبيك المشلول، تقول انه كما هو ، وقد تركته يبكى عندما علم أنك على التليفون:–

fb/mashro3pdf

: وبيقول لك اقرا له الفاتحة قُدَّام قبر الرسول واطلب منه الشفاعة .

تقول لها انك تتكلم من مصر . ثم تسألها عن أخيك أحمد، ويكاد لسانك ينفلت وتسألها عن فرحة. تخبرها أنك سوف تتكلم فى الليل.. عسى أن يكون أحمد موجوداً.

:- انا ها اتكلم فى حدود الساعة تمانية .

وتسألها عن الطفل الذى معها

: دى كوكى ، كوثر بنتى . هو مش الشيخ أحمد بعتلك إن أنا اتجوزت ولاّ إيه، .. اوعى تكون نسيت هديتها من بلاد بَرَّه . كانت تعمل لك موشح . صحيح .. انت جاي إمتى ؟

- قريب .

:- ابقى قول علشان أعمل حسابك على الغدا .

تكرر سؤالك عن أبيك ، وعن اقاربك ، لكنك لم تأخذ منها شيئاً .

وصلتك همسات الذين خلفك ، أكثرها ينصحك ان

fb/mashro3pdf

تعطى فرصة لغيرك . تبحث عن تليفون نهى وتتصل بها .. كانت مستيقظة لتوها ولم تصدق أنك تتصل بها بعد هذه المدة. تسألها بسرعة عن سهام ، وتعرف ان أباها قد غير رقم التليفون من كثرة المعاكسات

: – يعنى أقدر أكلمها .

تقول :– دى قاعدة عند عمتها دلوقت .

تطلب تليفونها ، وتنتظر حتي تحضره لك . تستأذنك أن تتصل بها غداً حتى تستطيع ان تخبرها لعدم الإحراج . تواعدتما وعوداً كتلك القديمة . ان تجتمع الشلة كلها وتذهبوا لتشاهدوا فيلم "كيفين كوستنر " الجديد . وأنت تعرف أن وعودكم لا تتحقق، فوافقتها وقلت : ان شاء الله .

تنهي المكالمة ، يجذب الذى خلفك السماعةَ من يدك حتى لا يعطيك فرصة للاتصال مرة أخرى ، تزدحم فجأة بالأخبار ، لكنك تتمنى سماع صوت سهام ، ومعرفة إن كانت نسيتك ام لا . نسيتك؟ ... لابد أنها نسيتك . وليس الذنب ذنبها ، فللأخطاء ذاكرة مثقوبة .

fb/mashro3pdf

تترك السنترال وتمشى هائماً ، قلبُكَ مثقل ، وعيناك لا تريان سوي سطوح الأشياء ، وبلا رغبة . حالة شعرية ، هكذا تقول لنفسك . لكنك لم تعد تصلح لكتابة الشعر . لأنه لم تعد لديك الرغبة في أن تكتب عمن تحب . أو تكتب عن تلك الأحلام التى تنكش الأحزان .. لم تعد لديك رغبة أن تستدر دموعاً جفَّت مآقيها .. ولا لديك القدرة على تغيير العالم بالكلمات كما كنت تزعم .

تظل تدهس فى نهمٍ ظل الأشجار وتستسلم لمن تقتحمك ، عند عمتها ، غيرتْ رقم تليفونها من كثرة المعاكسات ، المعاكسات ؟ من الذى يعاكسها ؟ كانت تتعرف عليهم . وبعد فترة ترميهم كالكلاب .. مثلك.

كانت الشمس البرتقالية فوق المياه ، وثمة قوارب تتأرجح ، وكنت تخط بإصبعك تخطيطات لا معنى لها . ولا تنظر إلى البحر أبداً . كانت تحكى حكايات لا تنفد عن خالد . وتمد يدها بين لحظة وأخرى لتلملم أطراف التنورة التى يطيرها الهواء . وبعد فترة اعترفتْ لكَ بحبها

fb/mashro3pdf

وهى تبكى ، ولم تصدق نفسك ، كنت تحبها وتُخفى ، فهل لاحَظَتْ ؟

بعد ذلك ذهبتما معا فى كل مكان ، حتى فى حفلات معارفها – الناس اللى فوق – فى أول مرة ، كانت حريصة على أن تمسك يدك منذ بداية الحفل حتى لا تنال منك الهواجس . استمر قلقك وتوترك .. استعنتَ عليه بتلك الحرارة التى تتسرب من راحتها إلى كيانك كله .. كانت تذهب الى مصافحة صديق أو تقبيل صديقة .. ويدها فى يدك لا تبرحها .. لكن الضجيج والضحكات وكذلك تلامس الكوؤس والأيدى المصفقة علي واحدة ونصف . قد أنساها يدك ، فظللت وحدك بقية الليل تفتح راحتك وتغلقها على لا شىء .

fb/mashro3pdf

14

عند الجريدة ، توجد اللافتات القماشية ، معلقة فى كل مكان وتحجب السماء ، نظرتَ الى أسماء المرشحين فوقها ، وإلى الثقوب الكثيرة فيها ، تلك التي تسأل نفسك كثيراً عن الجدوى منها ..

تدخل الممر الكبير وتطل على الصالات ، لا تجد غير زملاء قلائل ، تسأل وتعرف أن هناك اجتماعاً في نقابة الصحفيين ، وأن آخرين يتابعون الحملة .

تصعد الدور الثامن ، وتنظر إلى الحجرات المفتوحة الفارغة ، تصافح عم زغلول وتسأله عن علاء . لكنه لا يعرف . وفى صالة التحرير ترى إبراهيم منكفئا علي جرائد المعارضة فى اهتمام بالغ .. تتعانقا ويخرج ليطلب لك ليموناً . عندما يرجع يعرّفك بزميل جديد له ، جاء بعد سفرك . بعد ترحيب طويل يتبرع بالحديث عن أخبار

fb/mashro3pdf

الحرب .. ويخبرك أن السيناريو المتوقع منذ فترة ينفذ بدقة .

:- المهم ردود أفعال الشارع المصرى .

فيقول: الجميع ضد الغزو ولكن ليس الجميع مع الحرب

: قليلون ؟

نعم . فالصوت المسموع هو الصوت الذى يندد بالمشاركة فى حرب ضد شعب عربى شقيق.

تحاول تذكّر مَن قال ان العرب ظاهرة صوتية

:- بالمناسبة هناك مظاهرة فى جامعة القاهرة الآن .

تندهش : = وعندك الجماعات الإسلامية بتوزع منشور كل يومين ثلاثة .

ويخرج من شنطته الجلدية ورقة ، تأكد منها واعطاها لك . كان عنوانها .

" ضدّ مَن ولصالح مَن ؟! " ..

:- والشرطة عامله معاهم إيه ؟

يعرض عليك الذهاب لترى المظاهرة فى الجامعة . فقد كلفه المشرف على الأخبار بمتابعتها .. تتذكر دكتور طه السباعى ، تنظر فى ساعتك وتقول لنفسك : وما المانع ؟

fb/mashro3pdf

15

تتوالى أسئلة إبراهيم وأنتما راكبان الباص.. تجيب باقتضاب وعينك على الشارع . يتوقف الباص على فترات قصيرة ، تحس بالحر رغم الغيوم ، معدتك تؤلمك من أكل الطعمية .

:- قرحة فى المعدة .

:- قرحة ؟

تقولها غير مصدق ،

وتظل تواظب على (زانتاك).. لا مفر منه ، لا مفر .

تلقي نظرة من النافذة علي مدرسةٍ فى مدخل الدقى . تخرج البنات منها فى تجمعات ، يرتدين تنورات خضراء

fb/mashro3pdf

وبلوزات خضراء تحتها قمصان ذات مربعات خضراء وبيضاء . بعضهن ينتظرن ويحدقن فى أرقام الباصات . يقع نظر فتاة عليك ، فتداعبها بتحريك أنفك إلى أعلى . تبتسم البنت وتشيح بوجهها عنك ، تنظر الى إبراهيم لعله يكون منتبها . تراه غارقا فى تأملاته .

:- البنات كلها بتلبس كده دلوقتى .

كانت بالداخل تبكى وتزعق .

تلقى البنت نظرة أخرى فتجدك تتابعها رغم تقدم الباص قليلاً . تبتسم ثانية ، تفكر أن تنزل .. قبل السفر كان هذا عاديا جداً ، أن تنتقل من مواصلة إلى أخرى بحثاً عن أنثى تستجيب لك .كنت تجد صعوبة ، لانك لا تجيد الكلام .. لكنك كنت تحاول . ثم ينتابك يأس . ثم تصمم ثانية لأن الأصدقاء لديهم صديقات وعشيقات يذهبن معهم إلى البيوت .

وكنت تحتال على فشلك بأن تعقد مع أصدقائك اتفاقية

fb/mashro3pdf

للحصول معا على الفتيات من الشوارع والحدائق لكنك كنت دائما تضعهم فى حرج .

كانت تبكى ، وبنطلونها الجديد على الأرض ملقى تحت قدميّ أمك ، قال أبوك لأحمد

: لأ . راجل !!

كان أحمد يجلس على الارض ضامّاً ركبتيه إلى صدره . واضعاً ذراعيه تحت ذقنه .. استمرت فرحة فى بكائها رغم أنها أخذت حقها وتم توبيخه . نادتها أمها حتي تأخذ بنطلونها وتضعه فى الدولاب ، قامت وجذبته من الأرض ورأسها مُنكس . قال أحمد :

: بُكره تشترى بدلة رقص ، وما حدش يقول لها تلْت التلاته كام.

زمجر أبوك وقام ليضرب أحمد . حاشته أمك فنهرها وأبعدها عن طريقه . استغاثت أُ ملكَ بِكَ ، فَقُمْتَ لتحمى أحمد من غَضْبته لكنه كان جبلاً ينكفىء على أخيك الجالس ويكيل إليه الركلات واللكمات . لم تملك إزاحته

fb/mashro3pdf

وانما هو الذى دفعك فارتطمت بالجدار .. قُمتَ ثانيةً ودافعت عن أخيك بشراسة ، حتى قام أحمد من تحته هاربا ، فاتجه إليك ، ولولتْ امك ، اتجهت فرحة ناحيته تحوشه عنك ، حلف بالطلاق أن لا تبيتا معه تحت سقف واحد هذه الليلة ، جذبت أخاك من يده حتى ينهض وخرجتما سويا ، وفي ظلمة الخلاء قلت له :

:- يمكن يكون عنده حق ، انت مالك ومالها .

وكان الصمت .

تتتبع الطالبة هرباً من ذكرياتك . لكن الباص يتحرك ، فتتعقب عيناك الزحام والمحلات ولافتات السينما .. فى وقفة أخرى بميدان الدقى ترى شخصاً تعرفه . يرتكن على جدار . ويصوب نظراته إليك ، عرفته أول أن رأيته. كان هو بشعره المُغَبَّر القصير ونظراته المصوبة دوما تجاهك ، تحدق جيداً . وتخبر إبراهيم . لكنه لم يعر الأمر انتباهاً عندما لم يميزه وسط الزحام . كان بوجهه النحيل وقامته المحنية أليفاً لديك . تتذكره ، ولكن من؟

fb/mashro3pdf

تفكر ان تشير إليه . لكن انقباض قلبك لم يسعفك . تظل نظراته تصلك بينما الباص يمضى وعيناك معلقتان عليه حتى يتلاشى .

تمشي خلف إبراهيم بين الأجساد المتراصة حتى نزلتما من الباص ، تجد عربات الأمن المركزى واقفة ، تمتد بطول رصيف حديقة الأورمان ، وبداخلها الجنود . بملابسهم السوداء ، عند باب الجامعة : ممنوع الدخول . هناك حَظر بِعَدَم دخول أحد غير الطلبة .. يدَّعى إبراهيم أنه يريد الدخول لمركز المعلومات فى كلية الاعلام . يأخذون كارنيهات الصحافة وتدخلان .

الجامعة غاصَّة . والطلبة يجتمعون فى جماعات كبيرة أمام قبة الجامعة والبنات الشبيهات بعارضات الأزياء يختفين فى ألكافتيريا . داخل الكليات ترى معظم الطلبة متجهمى الوجوه . بعضهم ينحنى على لافتات يُعدها ، وآخرون يتلقون التعليمات حول النداءات التى سوف يرددونها فى مظاهرتهم السلمية . يتجه إبراهيم ويسألهم، يقول أحدهم

fb/mashro3pdf

:- سنقول كلمتنا أمام العالم ، هذا من حقنا .

يتدخل آخرون بعبارات أشدَّ حماسة . تدرك أن الأمور لن تمر بسلام .. تستأذن إبراهيم

:- أنا طالع للدكتور طه السباعى فى كلية سياسة واقتصاد .. حصلنى لما تخلَّص .

fb/mashro3pdf

16

تشير السكرتيرة الى كرسى الانتريه لتنتظر . كنت تعلم انه وَحْدَه بالمكتب ، يقرأ أو يستمع الى الموسيقى الكلاسيك ، أو يشاهد الأخبار فى التليفزيون . يطول انتظارك . فتقوم إلى النافذة ترقب الطلبة وهم يتآلفون وتزداد أعدادهم .. يحملون طالباً فوق اعناقهم عند المقدمة . ويرفعون عدة لافتات مكتوب عليها " أنقذوا شعب العراق من الدمار " " ليسقط الإستعمار الأمريكى ويسيرون صامتين فى البداية وهم يشبكون أيديهم في أيدى بعض ويرفعونها لاعلى .. يزعق الطالب المحمول . مُنددا بصدام وبوش واسرائيل والعرب العملاء . وخلفه الطلبه يرددون ، كانت السكرتيرة بجانبك عند النافذة تتطلع فى هلع . فتمنع نفسك من النظر عبر فتحة

fb/mashro3pdf

صدرها المثلثة وتتجه إلى كاميرات تصور وخلفها يوسف شاهين يعطى أوامره لفريق العمل الذى يَلْتقِط المظاهرة من زوايا عدة . تلوح ابتسامة على وجهك عندما ترى السكرتيرة تتحمس وتشب على قدميها ، وفجأة تسمع صوت انفجارات ودخان أبيض ينتشر فى الهواء ويتخلل الأشجار . كانت قوات الأمن المركزى تقتحم الجامعة وتهرول ناحية جموع الطلبة . وتتوالى انفجارات القنابل المسيلة للدموع . تسرع السكرتيرة باغلاق زجاج النافذة . وَتذْهَب إلى مكتب الدكتور طه. تحدثهُ بينما الباب مفتوح تنتهز الفرصة وتعتزم الدخول . لكن بنظرتك الأخيرة قبل أن تغادر النافذة ترى طالبا يلتقط قنبلة من الهواء ثم يقذفها مرة أخرى نحو قوات الأمن المركزى . تدخل إلى مكتب دكتور طه الذى يؤنِّب سكرتيرته على انفعالها . ويقوم بتؤده . يلمحك ، فتذكره بنفسك ، يصافح بحرارة الدبلوماسيين ، ثم يتجه الى النافذة ، تلفت السكرتيرة انتباهه الى مكان كاميرات يوسف شاهين التي تصور الأحداث المشتعلة، كانت القوات تُطارد الطلبة بالهراوات

fb/mashro3pdf

والدروع وسط الدخان الأبيض الكثيف ، وأمامها الطلبة يَفرّون في كل الإتجاهات رافعين أيديهم والطالبات القليلات أيديهن قريبة من وجوههن ويطلقن الصرخات ،

تكاد الدموع تطفر من عينك دون أن تتساءل كعادتك.. لماذا ؟ تشيح بوجهك ، فتجد الدكتور لا يزال واقفا ويُقَرّب الولاعة من سيجاره البنى الضخم ليشعله . اتجه إلى كرسى مكتبه وهو يبتسم ويقول : هؤلاء الأولاد لهم أهمية قصوى عند النظام رغم أنهم يعارضونه.

:- كيف يا دكتور ؟

:- من المؤكد أن ال CNN تصور كل ما يحدث، والعالم كله سوف يراه بعد ساعات.

:- .. وهذا مهم وضرورى..

يسترخى فى كرسيه يديره يمنة ويسرة

:- هؤلاء الأولاد بما يفعلوه الآن ، يقولون للعالم كله أن هناك تعددية فى مصر ، وأن دخول الأمريكان إلى المنطقة من أجل أن يدافعوا عن العرب غير مرضى عنه من جميع شرائح المجتمع ، وهذا في صالح الدولة .. لأن

fb/mashro3pdf

التأييد المائة فى المائة لونه أبيض . لا يلفت نظر أحد .

يأخذ نفسا من سيجاره فتمتلئ الحجرة بالدخان وتحرك السكرتيرة يدها حول أنفها فى استنكار باسم .

:- لكن التأييد مع وجود مثل هذه العناصر الخارجة عن إرداة النظام ، ممكن يبقى ورقة ضغط . تساهم فى الإسراع بالموافقة على إسقاط الديون .

يصمت قليلاً ، فتنتهز الفرصة وتنظر ناحية النافذة التى لم يظهر منها سوى قمم الاشجار ودخان القنابل المسيلة للدموع يتخللها فى تكاثف .

:- كما إن تأييد أمريكا بدون احتجاجات هنا وهناك ، غير مُسْتَحب، لأنه يجعل مصر فى حكم المؤيد من أجل احتياجاته ، وهذا يقلل فرص الحصول على مميزات إسرائيل فى المنطقة .

تتعقب كلامه فى صمت بينما يجذب انفاساً متعاقبة من سيجاره . وعندما تتأكد من أنه انتهى تخبره انك نفدت بجلدك من هذا الجو وسافرت منذ أربع سنوات . يومئ برأسه مستحسناً فتقوم إلى النافذة .

fb/mashro3pdf

:- الجو هنا خانق لكل شيء .

تتجه ببصرك إلى طلبة يتعثرون في جراحهم وآخرون تَجُرّهم قوات الأمن وتذرع بهم الأسفلت أمام قبة الجامعة . أما أشلاء اللافتات .. مُلْقاة علي الأرض والدخان الأبيض يتصاعد عالياً ويفترش السماء .. تعود السكرتيرة إلى مكتبها ، لترقب الاحداث من نافذتها الخارجية .

وبعد ان تهدأ الامور ، تسأل دكتور طه عن أخباره . وتقول له أنك أتيت لانتخابات نقابة الصحفيين ، وأنه في الخليج نفسه توجد معارضة من البعض علي التدخل الامريكي في الأرض الحرام .

يتابع ، ثم يطلب أن تفتح النافذة إذا كنت تضيق من رائحة السيجار . فقد انتهت المظاهرة على ما يبدو . تقول له إن القنابل لا تزال . ثم تسأله عن رأيه الخاص فيما يحدث، فيقول إن وضعه لا يسمح له بأن يكون ضد الكفة الأرجح ، وإنْ كان له بعض الملاحظات على عدد من الإجراءات فهذا لا ينفي ان يعلن بصراحة موقفه المؤيد

fb/mashro3pdf

للتدخل الامريكى لعقاب العراق على فعلته .

تقول له : أعلم ذلك . ولكن ألا ترى إن هذا ظلم للشعب العراقى.

تظهر أسنانه الناصعة من ابتسامته العريضة .

: وهل هناك شعب عربى ليس مظلوماً !

تتضايق عندما تحس انه يرى الأمور بعين زجاجية . وتريد أن تغير الحديث فتسأله عن المركز الاستشارى الذى يملكه فى مدينة نصر والذى عملت به بضعة شهور أثناء حصولك على الدبلوم الصحافى ومعرفته بك .. فيخبرك أن أحوال المركز جيدة وان كانت فكرته قد انتشرت ، مما يجعل هناك منافسة من مراكز فتحت لم يكن يعمل حسابها . تسأله عن الأصدقاء الذين يعملون هناك . كان بعضهم قد غادر المركز وآخرون كما هم .. تحقد عليه من ادعائه المنافسة وهو من موقعه هنا بالكلية يستقطب الطلبة ويحفزهم على أخذ دورات عنده لاجتياز الاختبارات المؤهلة للعمل الديبلوماسى . نعم تحقد عليه ، لانه يكسب كثيرا .. أما أنت فقد تغربتَ هناك ، ولم تكسب أى شىء .

fb/mashro3pdf

17

تطلب من إبراهيم نصوص البيانات التى صدرت من مصر لدعوة صدام للأنسحاب من الكويت ، ونصوص البيانات التى صدرت من قوات التحالف المواكبة للحرب، تخبره أنك تعمل على إعداد ملف وثائقي فى مجلتك عن الحرب بعد انتهاء القوات البرية من تحرير الكويت .

وانتما تقفان فى محطة الباص تطلب منه ايضاً ان ينقل تحيتك إلى علاء وتتفق على الاتصال به لتحديد ميعاد لتتقابلا قبل السفر.

يركب إبراهيم الأتوبيس المتجه إلى فيصل ليذهب إلى شقته التى يجلس فيها مع علاء ومجموعة بلدياته من المنيا ، يتأسف على رحيله ويخبرك أنه يحس بالتعب من استنشاقه دخان القنابل المسيلة للدموع ، تودعه وهو على

fb/mashro3pdf

سلم الباص وتعبر الشارع وتنتظر ماينقلك إلى التحرير ، مثانتك تكاد تنفجر وانت تتابع الرائحات والغاديات أمامك، لم تستطع سوى التحسر على عمرك الذى يتسرب، وحينما أخذت تطرد كوابيسك بالتحرك، تحس بنقاط تتسرب ووجع إلتهاب البروستاتا يعاودك، تبحث عن دورة مياه قريبة فلا تجد، تمتثل ، وفى الشارع المكشوف كان البول يخرج مرتعشاً وساخناً ، بينما وجهك فى ذراعك المسنود على جدار بيت قديم. تركب ميكروباص، فتكون جلستك بجانب فتاة من الجامعة ليس جمالها فى المستوى الذى لفت انتباهك بالداخل، فتنظر من النافذة. بينما ذكرياتك تتجول ما بين العباسية وباب الشعرية ومدرسة إسماعيل القبانى. وجلسة أبيك عند موقف الدراسة. وفرحة وهى تذهب بالطلبات إلى هنا وهناك. عندما رأيتها هناك فى المقبرة تحت عويس قلت لأبيك:-

:- رأيتهما .

وقلت :- والعمل ؟

وقلت :- مش عارف .

fb/mashro3pdf

تنفض نفسك من الشجن الذى يغلبك دائماً، وتنزل التحرير، تشترى ساندوتشات الكبدة من فلفلة، وبجانبها المخلل، كانت الساندوتشات ساخنة وحريفة من التوابل التى تضّيع طعمها. لكنك تلتهم فى نهم . وتطلب اثنين آخرين . كانت الكبدة طعام أبيك المفضل.. يأكلها نيئة بعد ان يدعكها بفصين ثوم . أو يجعلها تمس النار بالكاد . وعندما كنتم تراقبونه يأكلها دون قرف ، يزعق فيكم لتهرولوا مبتعدين دون أن يعطيكم شيئا منها ، حتي ولو للتذوق . في مرة طلبت منه فَرْحة أن يعطيها قطعة ، نهرها وقال : دى أكلة رجالة يا بنت الكلب ،

وقال وهو يأكل وينظر إليك

:- أهم حاجة فى الراجل صحته .. النسوان دول مَهلكة ، ووقت الراجل ما يخسع مش بيرحموه .

ثم أضاف : حلوين ... بس مهلكة .

وقال : وبعدين العافية تخليك مش محتاج لحد .

fb/mashro3pdf

18

كانت الساعة تقتربُ من السابعة ، ولا ترغب فى الرجوع إلى البدروم ، تتصل من سنترال التحرير ثانية بمدينة السلام ، لم يكن أحمد قد وصل بعد ، فتأخذ قرص (زانتاك) آخر ، وتنفق وقتكَ فى التنزه ورؤية فتارين المحلات ، تمَرَّ من أمامك امرأة عريضة الصدر ، وتضع مكياجاً صارخاً ، كان خلفها ثلاثة شبان يعاكسونها . وتهرب منهم تحت الرصيف فتأتى السيارات أيضاً وتتوقف لها ، ابتسمت لـ بى. ام دبليو لكنها لم تركب .

:- من إياهم ، بس محتاجة شوية صبر ،

قال الشباب

النقود فى جيبك كثيرة ، وتستطيع أن تجعلك تمضي وقتاً برفقتها فى سميراميس لمدة أسبوع ، كنت تنوى أن

fb/mashro3pdf

تنزه نفسك ، ولا تأكل سوى فى المطاعم الفاخرة ..

تذهب إليها وأنت تقبض على النقود فى جيبك الأيمن ملتمساً العون . تبتسم عند محاذاتها ، فتلمح ابتسامتك ، ولا تُعركَ اهتماماً،

يقول واحد من الشباب خلفك

:- إحنا قراطيس بقى ؟؟

تقول لها ان هؤلاء الشبان يعاكسونها ، ولن يتركونها فى حالها، ما الذي يجعلها لا تأتي معك إلى كازينو ، بدلاً من المشى فى الزحام؟

تنظر لكَ من أعلى لأسفل ولا تعقب ، تشعر بإهانتك، تتمهل فى خطواتك . تنظر إلى ملابسك التى تكرمشت من أثر النوم بها ، وتَهُبُّ رائحة عرقك وتنقض عليك ..

يأتيك واحد : - هاه .. كلمتك ؟

:- ييجى منها .

وتنضم إليهم ، فتصبحون قافلة تمشى ورائها ، تُحدقُّ فى تضاريسها الخلفية ، وتتبادل التعليقات . كانت ساقاها طويلتين مسحوبتين ، يبدو بياضهما من الجورب

fb/mashro3pdf

الأسود . وتنورتها سوداء أيضاً . ضيقة وقصيرة لا تتناسب مع ضخامة جسدها البادية . تفكر فى عرض "حسين" الصباحى . والجسد المستيقظ للبنت زينب ، وتقول لنفسك :- يمكن أحسن ؟

تترك أصحابك الجدد يكملون مسيرتهم خلف المرأة، وتعرج لتكمل سيرك وحدك ، تشتري أيس كريم من عند العبد فى شارع سليمان باشا ، كانت كل الفتيات والنساء الخارجات للتنزه فى الليل وراءهن أرتال من الشباب يراودنهن . تفكر ، لو كانت " فرحة " تحيا حتى الآن ، هل ستصبح واحدة من هؤلاء . وهل " هناء " الآن مثلهن . تمشى متقصعة ، وتتجاوب مع أى شاب يحدثها بعد أن يصبر قليلاً عليها ويُلح ؟ .. أين مطواة أبيك اليوم ، وقسوة أحمد التي لا تعرف الأخوّة ، لقد انتهت "فرحة " بأيديهم ، وبيدك أنت أيضاً . هل تستطيع أن تتنصل؟؟!

كنتَ من شاهدتَها ، وحكيتَ لأبيك الذي قرر فى صمت:

fb/mashro3pdf

وكانت فى حجرة أمها .. دخل ابوك يتساند علي الحائط والشال حول رأسه ينحسر :

قال لأمك : فى جديد ؟

هزت أمك رأسها بالنفى وهى تبكى فى صمت . نكسَ رأسه وكأنه يَهمُّ بالبكاء :

: على آخر الزمن .

واتجه إليها ، أمسكها بيسراه من طرحتها السوداء وبيمناه أمسك رأسها كأنه يريد سحقها .

في الليل ، أخذ يسن مطواته فوق البلاط العارى ، ويخدش السكون .

قال لأحمد : تعال معايا .

ولم تستطع أن تكون مع أو ضد . بل وجدتَ نفسكَ تنفذ أوامره .. هذا العجوز الذى امتصه الأفيون . ها هو يفعل شيئاً .. كما كنت تتمنى .. يقضى على فرحتك . كما ناديتها كثيراً بهذا الاسم بينك وبين نفسك .." فرحتى " .. لم تسمعه منك أبداً .. جذبها أخوك من يديها وربطهما من خلف ظهرها ، طلب منكَ أن تراقب الخارج.

fb/mashro3pdf

لم يكن أحدٌ على القهوة سوى المعلم محروس ، يغفو ويميل بجذعه على البنك وينتبه ليغفو مرة أخرى و " عبده " القهوجى يشاهد فيلما جنسيا مع بعض الزبائن فى السندرة .. أخبرت أباك بذلك ، فوضع ملاءة أُمك عليها بعد أن فَكَّ ذراعيها مرة أخرى .. كان مضطرباً ، ولا يدري ماذا يفعل كى ينجز مهمته ، حَبَكَ الشال حول رقبته ، ونادى على أمكَ لتأتى له بالبُلْغَة ، عرض عليه أحمد ان يتولى الأمر بدلاً منه . لكنه رفض ، أدخل فردتا البُلْغَة فى قدميه وقال لها :- قُدّامى .

كانت مستسلمة تماماً ، وتنتظر قدرها ،

ضبطتْ الملاءة حول جسدها ، وعَصَّبَتْ رأسها بمنديلها الأحمر ، ومضت أمامه ، خرجتَ أنتَ وأحمد تحت رغبة امكما حتى لا يكون وحده . تواريتم ، ومشيتم إلى اليمين عكس المقهى ، ذهبتم إلى الخلاء ، ومنه الى موقف الدَرَّاسة ، وهناك كنت تمشى بجانبها ، وأبوك مع أحمد خلفكما

قال أبوك : عند الجنينة .

لكنه قبل أن يذهب إلى الجنينة ، وبين الأتوبيسات

fb/mashro3pdf

المركونة فى الموقف جرت لعلها تفلت، لكن ساقها المشلولة خانتها، فلحقها أبوك، حاولت الصراخ قبض بيده على فمها من الخلف ، وطعنها بيمناه فى صدرها ثم فى بطنها . كان ينهال عليها ، والدموع فى عينيك لا تسعفك.

ناداك بصوت مختنق ، لكنك لم تلبِ ، أحاط فرحة التى تهاوت بالملاءة وحملها علي كتفه ومضى . كنت واقفاً دون أن تدرك ما يجرى أمامك وكانت لا تزال حية ، عيناها مفتوحتان بهلع على ظلمة المكان .. ناداك ثانية وقال :

: اتحرك .

ثم قال :- هاتوا السلم من غرزة يوسف .

فذهب أحمد إلى هناك ، ألقى السلام ، وطلب السلم ، قال مسطول

:- حَبِكِتْ تطلع السما دلوقتي ؟

لم ينطق أحمد . وعندما رأي السلم مرتكنا على جدار الغرزة . استأذن عم يوسف

: خمس دقائق بس ؟

وحمل السلم ومضى . كان أبوك ينتظره خلف دورة المياه ، وضع أحمد السلم على الجدار وحملَ فرحة ..

fb/mashro3pdf

صعد وأختك فوق كتفه الأيمن وما إن بلغ حافة السطح ألقاها ، فطارت الملاءة عن وجهها ، وسالت خطوط من الدم على الجدار . ابعدت وجهك ، فرأيت أباك يضع ذيل جلبابه بين فكيه ، ويحاول أن يمسح الدم فى لهوجة .. قفز أحمد فوق السطح ، حملها وغاب ، لم تعد تراه ، لكنك سمعت صوت غطاء الخزان وهو ينزاح ، ثم جسد اختك وهو يطش فى المياه ، وصوت الغطاء ثانية .. ظَهَرَ أحمد يمسح يده فى بنطلونه . نزل مسرعاً . فقال له أبوك :-

:- رَجَّع السلم هوا ، واسبقنى على البيت

رَفَعَ السلم ، وناداك لتمضى معه . رفضت . ومشيت مترنحاً . خطواتك ثقيلة ، وروحك فى صدرك تحسها أثقل . نكست رأسك إلى الأرض التى أصبحتْ قَفْرَاً لا يُحَد .

فى البيت ، وجدتَ أمكَ جالسة تمسك رأسها بكلتا يديها ، وتهزها وهي تبكى . وتعدد .

وعندما قمتَ فى الصباح ، وجدت أباك مشلولاً ، لا يستطيع أن يُحركَ نصفه الايسر ، أمَّا أمك فظلت تقسم بعد ذلك بكل أيمانات المسلمين انها تسمع فرحة تناديها .

fb/mashro3pdf

19

ساندوتشات الكبدة لاتزال تمزق معدتك . فتنوي الرجوع، تذهب إلى عماد الدين وتركب الباص ، كان قليل الركاب فى البداية ، لكنه يزدحم عند العتبة. تجلس على أحد الكراسى قرب النافذة . وتجعلك الهدهدة تغفو .

:- كابتن . انت مش نازل .

تربت يد على فخذك. تفتح عينك . تجد نفسك فى الألف مسكن . تقرر ان تظل جالساً لترجع فى نفس الباص . وعندما يمضى ، تتحايل على معدتك التى تتمزق بقراءة لافتات المحلات المضيئة ، يمر الباص على الدراسة فتنزل مسرعاً وتمشي دون إرادة باتجاه الموقف.

fb/mashro3pdf

20

كان الصخب بادياً، والاتوبيسات كثيرة فى الممرات المخصصة لها . تبحث عن غرزة المعلم يوسف فلا تجدها. مكانها مطعم بالألوميتال ، يبيع الهامبورجر والشاورمة ، ويضاء بكشافات مبهرة. ترى دورة المياه . فتنظر نحو سطحها وتشرد . تدخلها ، وتتأمل المكان الذى كان يحتفظ ابوك فيه بعدة شغله بعد أن ينتهى فى الليل .

كانت المباول مسدودة وممتلئة حتى حافتها بالسائل الاصفر ذى الرغوة الكثيفة ، وكان حماما مفتوحاً . لكنك تنتظر واحداً بعينه ، عندما يخلو ، تدخله .

تفتح بنطلونك الجينز ، وتخرج ذكرك ، تنظر إلى الكوة التى تعلو الحمام والمفتوحة على السطح ثم تتوه نظراتك فى الشباك الصغير ذى القضبان ، وقطعة السماء التى

fb/mashro3pdf

تبدو منه بنجومها القليلة ، بعد ما تفرغ ، تعتمد على الصنبور والشباك وتفتح الكوة ، ترفع قامتك ، وتصعد إلى أعلى ، فوق سطح دورة المياه تقوم ، وتنفض التراب الذى يعلق بك . خطوتان وتتناثر الجرذان ، وتطقطق علب صفيح قديمة لم ترها فى العتمة. رائحة البول والعفن تغزو أنسجتك ، وصوت المياه يشخشخ فى الخزان . تقترب منه ، وتحاول أن تتفحصه ، تجد خصلة شعر فى صفيحهِ . طويلة تلمع فى ضوء أعمدة النور الطويلة ، تلتقطها وتمسدها . نفس لون شعرها الكستنائى . أسفل الخزان . كان هناك منديل شعرها الاحمر المزدان بزهرات صغيرة عند حافته ، لونه قد بهت وغدا أقرب للون الطوبى الفاتح . تأخذه بين يديك وتفسح لنفسك مكاناً بين الكراكيب والأوساخ والتراب ، وتجلس مسنداً ظهرك على الخزان تتسرب برودته إلى عظامك وترجفك. لكنك لم تفكر ان تبرح المكان أو حتى تغير جلستك .. تود أن تظل هكذا منجذباً إلى عبقها الذى بات قريباً .

تنظر فى الساعة . تقترب من الحادية عشرة . تحدِّق

fb/mashro3pdf

فى الأضواء البعيدة للأكشاك التى تبيع كل شئ عند حافة ربوة حديقة الخالدين. وهناك تراه ، بنفس نظرته المصوبة إليك رغم بُعْد المسافة .. مرتكنا على أحد أعمدة الإضاءة . وعاقداً يديه فوق صدره. بعد أن يتأكد من أنك تراه . وتهبط روحك إلى أسفل ، يستدير ويمضى عابراً صلاح سالم فى اتجاه المقابر . تبتلعه الظلمة ، فكأنه لم يكن ، تأخذ شهيقاً ملء صدرك وتسترخى جفونك لثوانٍ . تنوى ان تستريح قليلاً بالقرب من أختك .. وبعد ان تهدأ الحركة قليلاً ، تنهض وتفتح الخزان . ترفع رأسك لأعلى وتتأمل ظلمة السماء المثقوبة بالنجوم ، لحظات وترى بيوتاً تتهدم ، ورجالاً ونساء يهرولون فزعين . صراخ يعلو وابواق عربات الاسعاف تجلجل ... وانت وحدك خائف تجرى وتجرى هارباً من الظلمة ، لكنك فى كل إتجاه تندفع إليه لا تجد سوى الظلمة .

fb/mashro3pdf

الأحد ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

Sunday 17 September 1978

fb/mashro3pdf

فرحة

fb/mashro3pdf

1

: بت يا فرحة

انتفضتُ علي نداء أمى ، كانت السماء غائمة ، شطفتُ وجهى ، ووضعت الطرحة فوق رأسى ، أخذت البستلة الفاضية، ورحتُ للحنفية العمومية ، كانت النسوة يتحدثن عن الليلة التى مضت . تحرشن بى عندما انحنيت أنظف البستلة قبل أن أضعها تحت الحنفية . أخذت الفول والطعمية من عم كامل ، وكانت أمى قد أيقظت أحمد ، قالت :- بسرعة علشان تلحقى أبوكى .

فَرَدْتُ ورقة جرايد على الأرض ، جهزت الاكل .. جاء فارس يمسح نظارته قبل أن يلبسها ، أطعمت هناء وأنا آكل ، كان فارس يمضغ فى هدوء وهو يقرأ ورقة الجرنال المفروشة على الأرض ،

fb/mashro3pdf

قال أحمد : يا سيدى !! كُلْ أحسن .

أزاح فارس طبق الفول ، وأبعد الرَدَّة المنتشرة ، وقطع ورقة ،

قال أحمد : قال يعنى الثقافة مقطعة بعضها قوى .

قالت أمى : أما نشوف .

وكانت هناء تتثاءب ، فيتساقط الفتات من فمها .

fb/mashro3pdf

2

كان قد اتفق معي بالأمس ، وأعطانى نقوداً ..

قال : إشترى لك بيهم حاجة ..

قلت : مالوش لزوم .

وضعها فى يدى .. قال : خلاص ؟

أعطيت هناء عشرة قروش وقلت :

: إشترى لك بيهم حاجة ،

تهللَ وجهها ...

صَبَبْت الشاى ، لَفَّتْ أمى الساندوتشين إفطار أبى ، وقالت :

: إوعى تنسيهم

أخـذتهم ، واتجـهت إلى البـاب ، وقـالت هناء : اَجى معاكِ ؟

fb/mashro3pdf

قلت لها : إنتِ بتنامى .

عيطَتْ ، شددتها من يدها ، ومضيت .

نادى أحمد : الشاى يا بت

قلت : إشربوه .

قال فارس : وانتِ رايحة تشربيه مع مين؟

fb/mashro3pdf

3

صَبَّحتُ على عم عبده القهوجى ، والحاجة روحية ، وصعدت إلى طريق الخلا ، قالت هناء : شيلينى .

قلت : هو انا أقدر ؟

واشتريتُ لها اللبان الذى طلبته من نقوده .

وكانت تعليقات المارة كثيرة ، حاولت أن أخفف من اهتزاز مؤخرتى الناتج عن ساقى ..

قلت : كفاية .

قال عويس : مش قادر

وقَبَّلنى ،

كان قوياً ، وأبى يخافه ، انتهز الفرصة ،

وقلت : لأ ، كفاية .

fb/mashro3pdf

قال : مش قادر .. مش قادر

وكانت هناء تنظر في دهشة وتُتابع .

وصلتُ الموقف ، صَبَّحتُ على عم زينهم الناظر ، فقال:

: كباية شاي من إيدك الحلوة .

أعطيتُ أبى الساندوتشين ، أخذهم ، وقال :

: كل ده تأخير يا بنت الكلب ؟

تمتمتُ : إذا كان عاجبك .

غسلتُ البراد الكبير ، وملأته ، جاء " هيمة " وقال :-

: إرحمنى يارب

تابعتُ عمل الشاى دون أن ألتفت إليه ،

قلت : كفاية .. كفاية

ورفع الجلباب الأسود ، ومُزقَ الكلوت، صرختُ صرخة مكتومة عندما استقر فوقى، وعندما سقطت النقاط الحمراء على الحصيرة ، خافتْ هناء وانطلقت فى العياط.

صببتُ الشاى فى الأكواب ، حملتُ الصينية ، مررتُ بين الأتوبيسات وهناء خلفى ،

fb/mashro3pdf

قال أبى : جبتيها معاكِ ليه .. إحنا ناقصين .

وناداها ، لم تذهب إليه ، وظلتْ تجرى خلفى .. ممسكة اللبان في يديها الاثنتين ، أعطيت الكباية لعم زينهم . قال : لو ما كنتش متجوز !!

ابتسمتُ .. لم أقل : حتى انت يا شايب .

كنت أعلم أنه يقولها شفقةً برجلى العرجا .

بكيتُ ، قلت : إمشِ بقى .

وكانت رأسه فى الأرض وهو ينسحب ، قالت أمى عندما جاءت من السوق :

:- الدم ده من إيه يا ولاد ؟

كنت قد نسيت مسحه ، أسرعت للحمام ، أتيتُ بالخيشة وتساقطت دموعى فوقها وأنا أمسح ،

قالت:- مين اللى انجرح ، إوعى تكون أختك لعبت فى حاجة؟

قلت لها : بعدِ الشر .

قال فارس : حد سأل علىَّ ؟

قلت : علاء صاحبك

fb/mashro3pdf

قال : قال لك تبلغيني حاجة ؟

قلت : لا

وخلعت الكلوت المزق واستحممت ، بينما دموعي تنهمر . وكنت أحس بالبرد ،

دخل أبى فى غيبوبته ، وكانت ورقة السيلوفان والكباية بجواره ، لعنته ، وفَرَّتْ دمعات من عيني ، قلت : إنت السبب . فتح عينيه ، قال : مالك يا وش النكد ؟ بتعيطى ليه ، فيه حاجة ؟

قلت : نام .

وهممت بغسيل الأكواب من مياه الجردل فى عصبية ، كانت الدنيا فى الراديو مقلوبة على حاجة اسمها كامب ديفيد . وكان الموقَف قد ازدحم ، والشمس حميت ، نامت هناء ، فنقلتها إلى فرشة عم " نصر الله " بواب المراحيض ، وبينما كنت أغطيها .. لمس أحدهم مؤخرتى وهو داخل ، انتفضت ناظرةً خلفى ، قال : لا مؤاخذة .

بصيت في وشه أريد نهشه ، فتح بنطلونه وأخرج حمامته ، وقبل أن يوجهها إلى المبولة ، هَزَّها أمام عينى

fb/mashro3pdf

وهو يبتسم ، بصقت عليه ، ومشيت بينما شيء ما لزج أحسه بين فخذيّ .

فَتَحَتْ أمي الباب عليَّ وأنا عارية أقيس الكورسيه ،

قالت :- يا نهار اسود !! إيه ده يا بت .

لم أحاول ان أفهمها شيئاً . كانت تفرح وهي ترى أردافي ترتج من ساقي العرجا .

قالت: مش بعيد بكرة ألاقيكي لابسه مايوه، ولا اسمه إيه ده.

رميتُ الكورسيه في وجهها ورُحْتُ في العياط ، دَعَتْ عليَّ بغيظ.

وقالت : ميت نيلة عليكِ وعلى اللي خلفوكي ، ما هو ده اللي كان ناقص !

كان علاء ينظر إلى بعين حنينة ، فأحس أنه يضمني، وينتشلني من هذا القرف ، وتمنيت أن يتزوجني ،

قلت :- معقولة يا بت ،

وقلت : - هو يعني حتى الحلم حرام عليَّه يارب !!

وضع يده على كتفي ، فانتفضت ، ونظرت خلفي، كان

fb/mashro3pdf

رجل المراحيض ، بنفس نظرته الطمعانة ، صوبها إلى صدرى ، وطلب واحد شاى ، زعقت :

:- وبعدين معاك يا جدع انت ؟

وهممت أن أَفَرَّج عليه خلق الله . فتح أبى عينيه :

: فيه إيه يا بت ؟

قلت زاعقة : قوم شوف حكايته إيه ده كمان ؟

قام وهو يَلُمُّ عضمه : أيوه يا ابنى ؟

قال : باطلب منها واحد شاى يا حاج .. فيها حاجة دى ؟

قال أبى : لا يا بنى ما فيهاش حاجة ، حالاً هايكون عندك .

جلس على الدكة وأسند ظهره على جدار المراحيض ، صَبَّ أبى له كوب الشاى ، بينما كنت بجوار النصبة آكل فى نفسى .

زعق عم زينهم الناظر : - الراجل الناقص بيسلم على اليهود.

تجمع الناس حول تليفزيون عم سلامة بياع التمر

fb/mashro3pdf

هندى ، كان نفسى أشوف اليهود اللى بيشتمهم " علاء " . رُحْتُ أتفرج ، طالتنى نظرات ، فرجعتُ ، نظرتُ فى المرآة الصغيرة ، ومشيت بإصبعى المبتل علي حاجبىّ .

قمتُ مسرعة بعد أن خبأت المرآة والملقاط خلف ظهرى ، وأنا أقول لنفسى : لازم يعنى النهاردة يرجع بدرى !

وقال فارس : فى أوضتى كمان !

قالت أمى : خلاص يا واد ، وإيه يعنى ، أوضتك فيها شمس.

جاءنى صوته وأنا فى الحمام : مش ناقص إلا الحلاوة؟

ضحكت أمى وقالت : إنت عرفت الحلاوة كمان ؟

fb/mashro3pdf

4

نادانى أبى : يا بنت الكلب ، شوفى الطلبات .

شطفتُ الأكواب ، وكان الرجل لا يزال جالساً على الدكة ، غَمَزَ لى بعينه ،

قلت : وبعدين بقى ؟

فَرَكَ فى يده جنيهاً ، وقال : حق الشاى .

وعندما اقتربتُ لآخذه من يده بضيق ، سبقنى ، وأبعد يده عن يدى .

وقال : أكملهم خمسة ؟؟

كان صدرى يفور بالغيظ منه ، فذهبت إلى النصبة ، قَدِمَ واقترب منى :

: قلت إيه ؟؟

مشيت إلى دورة المياة حاملة الجردل ، فتحت الحنفية،

fb/mashro3pdf

دخل الرجل فى آخر حمام ، جانب الحنفية ، فتح بنطلونه وهو واقف وأخذ يدعك ، كان الباب مفتوحاً ، توترت ، أتى رجل ليدخل الحمام ، صددته بيدى وقلت :

: لأ .. ده محجوز .

ابتسم الرجل بالداخل ، وغَمَزَ بعينه ، بعد أن امتلأ الجردل ، قلت لعمّ " نصر الله " :- عن إذنك يا عم نصر الله ،

ودخلت الحمام ، أغلقته وهو يرفع الجلباب ، صددته .

قال : وبعدين ؟ مش اتفقنا ؟

قلت : أنا بنت .

قال وهو يغمز بعينه : علَىَ بابا !!

قلت : أنا بنت بقولك .

قال : مش ها نختلف

استدرت ، ورفعت يدى أستند على جدار الحمام ، ورائحة الخراء تملأ صدرى ، كانت دموعى تسيل ، وهو يعتصرنى بيدين خشنتين ، وساقاه لا ترحم ساقى .. عندما انتهى، قلت له : إستنى لَمَّا أشغِل الراجل ،

fb/mashro3pdf

وخرجت ، وواريت الباب . حملت الجردل رغم الإعياء.

وقلت : كفاية .

قال : مش قادر .

وحينما كانت هناء تعيط قلت له : إمشى بقى.

فسار منكس الرأس .

قلت لعم نصر الله : شفت الريس فى التليفزيون ، وهو مع اليهود؟!

قال : عليه العوض !!

قلت له : إنت زعلان ؟

قال : مش ها تفرق .

قلت : أخويا فارس زعلان . مع إن فيه ناس بتقول ده كويس .

أخذ الرجل يذكر أيام الإنجليز ، ومصطفى باشا النحاس لمَّا قال:

من أجل مصر وَقَّعْتُ معاهدة ٣٦ ومن أجل مصر أقوم بإلغائها .

وقال : محدش عارف . يمكن لعبة . حاكم احنا تعبنا

fb/mashro3pdf

من الحرب ، وفيه ناس كتير راحت . محتاجين نهدى شوية ونصلّح من أحوالنا .

كان الرجل قد خرج من الحمام .. لم أتابع عم " نصر الله " وهو يتحدث عن ذكرياته لمّا كان صول قد الدنيا فى حرب اليمن وحرب ٦٧ ، وكيف صبر عندما أخذوه أسيراً فى سيناء ، وبعدين رَحَّلُوه .

كنت أسمعه يقول نفس الكلام لأبي ، ثم يلعن من جعلوه يمسك المراحيض .

ويقول : آخرتها !!؟

ويُسلِّى نفسه بقراءة الجرنال .

وعندما يأتى فارس ليأخذنى فى الليل ، يتكلم معه فى السياسة.

fb/mashro3pdf

5

كنت أحس بالألم فى مؤخرتى ، ولم أستطع الجلوس ، ولم أستطع أن أَلِفَ بالصينية بين الأتوبيسات ، فأعددت لنفسى كوب شاى ، ووقفت فى الظل أشربه ، وأنظر للزحام .

قال فارس : إعملى حساب علاء على الغدا

وضعتُ الأطباق ، ورفعتُ وجهى .. شفت عينيه حزينة . وهو يجلس على حافة السرير فى انكسار ، وشنطة كبيرة على الأرض يُخَبِط فيها طرف ملاءة السرير عندما يحركها الهواء . قال فارس بعد صمت .

: أهلا بيك .

وقدم له كوب الشاى . كان أحمد فى الورشة ، عندما أتى ، تضايق وأخبر أبى أن فارس جايب صاحبه

fb/mashro3pdf

يشاركهم فى الأوضة .

سأل أبى فارس ، فقال له : معايا فى الكلية ، من المنيا ، همّ يومين ، ها يحاول يعرض موضوعات كتبها على الجرايد ويرجع ،

زعق أبى : هو احنا ناقصين .

نادانى " هيمة " طالباً شاى ، صببت له كوباً ، وجلس على الحجر يشربه .

قال : الشاى من إيدك عسل ، إبتسمت ، قال :

: على النعمة أحلى من شاى مراتى .

وكان جلده داكنا ، ويبدو أنه يموت ، جرى به فارس إلى الصيدلية . كشف عليه طبيبها ، وأعطى فارس الدواء . أنزلت مرتبة السرير على الأرض ، وأعددت الشاى ، جلست أمى بالخارج ، وظل مستيقظاً يسعل ويتمخط ويقول : آه .. بصوت مرتعش ، فى الصباح ملأت بستلة ميه زيادة لأن أحمد قال:

: إتفضلوا ، وكمان عايز يستحمه !!

حاول فارس أن يتهرب منه عندما استلف عدّة الحلاقة

fb/mashro3pdf

.. عَمَّرْتُ الباجور ، وضعت البستلة فوقه ، قبل أن يدخل الحمام قال لى : تسلم إيدك .

وفى المساء كانت حالته قد تحسنت .

كانت أمى تفتح الراديو على إذاعة أم كلثوم ، وكان فارس يوافقه

ثم قال أحمد : راح القدس علشان يبيعنا.

وكان علاء صامتاً يُحَدِّقُ فى ملاءة السرير المكرمشة ، قال أحمد:

: ناقص إيه ؟؟

ردد فارس : «ما دخل اليهود من حدودنا

وإنما تسربوا كالنمل من عيوبنا»

ابتسم علاء ، ثم سعل حتى كاد صدره ينشرخ.

إنتبهت لصراخ هناء ، قال أبى :- رَوحيها وتعالى .

قلت له : إبقى خدها معاك .

نظر فى ساعته ثم قال :- قومى يا بت.

وجرها من يدها وهى تهرول متعثرة ، وبيدها الأخرى تدعك عينيها الممتلئة بالعُمَاص .

fb/mashro3pdf

6

زاد عـدد السـائقين فى الدورية الثـانيـة والمنتظرين للأتوبيسات . قال حمادة وهو جالس على الحجر : إمتى الزمان يسمح يا جميل ،

قال آخر : أدفع عمرى علشان الهانش المعمول بمزاج ده .

قلت وأنا أدارى ابتسامتى : إتلم يا راجل .

قال عثمان : عايز توجَّب ، عندك الموقف مليان ، لكن" فرحة " دى أختنا .

جمعتُ أكواب الشاى داخل بعضهم وقلت :- أصله نسى نفسه.

قال :- أعمل إيه ... منها لله صفايح الزبدة السايحة . كنت أحس بجسدى ، وأنسى عجز رِجْلى شوية.

fb/mashro3pdf

أجرجرهم فى الكلام حتي يستمروا ، وبعد أن جاءت الأتوبيسات وانسحبوا واحداً ورا واحد ، أخرجت الجنيهات الخمس من عِبّى .. وعبرت الطريق ، نزلتُ لشارع الدراسة ، اشتريت إصبع أحمر شفايف ياسمينا، وسألت على ثمن المسكرة ، وأكملتُ حقها من فلوس أبى.

كان عرقه يسيل بغزارة، ويده تنفض جسدى وتوقظه.

قلت:-

:- إوعى بقى ... لأ

قال بصرامة : إمدى يا بت .

وكان صوت مقرىء يأتى من مقبرة أخرى قريبة ، فأحاول أن أصرف أذنى عن الكلمات التي يتلوها ، أنتبه على نباح الكلاب القريب ، وحارس المقرافة يهشها ويقول:-

:- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

جاء فارس ، وأنا أُقَلِّب فى إصبع أحمر الشفايف ، وأُجَرِّب لونه علي طرف إصبعى . وضع الغداء على النصبة ، وقال :-

fb/mashro3pdf

:- نفسى أعرف بتجيبى الحاجات دى منين ؟

قلت :- وانت مالك ؟

نظر إلىّ وأشار إلى ساقى :- أُمَال لو ما كانش اللى فيكى ده . كنت عملت إيه ؟

ثم أكمل :- كنا لمِناكى من الشوارع .

كان نفسى أتف فى وشه .. يمكن نسى أنى أكبر منه فى السن ، ولا نسى أن من فى سنى أصبحن أمهات؟ .. صرخت فيه :-

:- إحترم نفسك .

ابتسم ساخراً

وسألت نفسى : ممكن علاء يتجوزنى ؟

ثم قلت :- معقولة ؟

وصرخت :-إمتى بقى .. إمتى ؟

وضعت الإصبع فى عِبى ، وقلت :- عليه العوض . خلاص ، كله راح .

فردت الغداء على الأرض ، كانت نفْسى مصدودة . أخذت لقمتين ، وحملته كما هو ، وذهبتُ به إلى عم "

fb/mashro3pdf

نصر الله " فى دورة المياه ، وضعته أمامه ،

وقلت :- بالهنا والشفا ..

أخذ يدعو لى ، وانهمكت في عمل دورة أخرى من الشاى ، صَبَبْتُ لنفسى ، وأعطيته كوباً ، لمحتُ " عويس " قادما من بعيد ، حبكت أزرار الجلباب عند صدرى ، قال :- واحد سادة يا بت .

وجلس على الأرض ، وحينما وضعت بجانبه كباية القهوة قال:-

:- مش هافكرك . الليلة فى مدفن عيلة النبراوى ،

صرفت وجهى ، وقلت : مش هاقدر

قال :- مش هاكررها . أنا هايج النهاردة ، ولو ما جيتيش ، هانام فوقك وسط الموقف.

كنت أعرف أنه يقدر يعملها ، عملها قبل كده مع فاطمة العايقة لمَّا سمعنا صواتها من الأتوبيس المركون جنب جدار مركز تدريب الأمن المركزى ، رُحنا ، ورأيناه وهو فوقها على أرض الأتوبيس عاريين تماماً فى عز الظهر ، وضحكنا ، ولم نفعل شيئاً ، وعندما سألتها

fb/mashro3pdf

نســـوان الموقف :- إيه اللى وداكى له فى الأتوبيس يا عايقة ؟

قالت : هوّ فيه واحدة فيكم تقدر تقول له لأ ؟

وعندما حكيت لأمي وأنا مُمَدَّدَة جوارها على السرير سألتها :-

:- هو جامد قوى يا أمه ؟

قالت :- وأبوكى راح فين يا بت . غير بس الأفيون اللى هد صحته

رغم أن أبى كان يقول دائما لها : إنتِ السبب .

fb/mashro3pdf

7

كنت أتمنى أن أضع يدى فى يد "فتح الله" الكمسارى اليوم على الكورنيش ، كما وعدنى كثيراً أن نذهب ولم ينفذ . سأصمم عند لقاء اليوم أن نذهب إلى الكورنيش مهما كانت حجته ... لكن "عويس" !!

وضعت كباية القهوة ، وكوب الماء فوق الصينية النحاس الصغيرة ، ومضيت إلى الكشك رقم "٤" كان "فتح الله" و "سامى" و "هيمة" مقرفصين ، ويستندون على الكشك . وقفت لأضع كباية القهوة ، حَدَّق "سامى" فى سمانة ساقى السليمة ، وقال وهو يهيم : والنبى كوز قشطة .

ضربه "فتح الله" فى كتفه ، فتخلخلت ركبه ، ووقع وهو يضحك ، ويقول :- أموت أنا ، والنبى لو اتجوزتك يا

fb/mashro3pdf

جميل ، ما هاخليك تسيب السرير .

شَخَرْتُ فى وجهه مبتسمة وقلت :- لأ . لحد هنا وفُوق يا روح أُمك .

وقال فتح الله :- أُمال انا رحت فين يا حمار .

إنسحبت راجعة ، ووقفت لاعبر مجرى واحد إلى ركن النصبة . انتظرت حتى يَمُر الأتوبيس ، فسمعت "هيمة" يقول :-

: إوعى تكون بتتكلم جد يا "فتح الله" ، دى مضروبة . إسألنى أنا . واستمرت همهمات ، أحسست أنى عارية وسط الموقف ، وارتفع الدم إلى رأسى ، ولكن دموعى قالت لى :- ماهو عنده حق .

وكانت بقع حمراء على الحصيرة ، صرخت ،

قلت له :- أخرج بقى

فخرج منكس الرأس ، وجلست وحدى أعيط ، وأقول :- يا فضيحتك يا فرحة ، دلوقتى ها يتباهى باللى عمله زى ما اتباهى باللى عمله مع فاطمة العايقة ، وصبيحة وأم أشرف .. بقيتى واحدة منهم ،

fb/mashro3pdf

يافضيحتك !

كانت هناء تعيط ، وكنت أعيط ، وأقول:-يا فضيحتك!

صاح "فراج " صاحب كشك القماش من بعيد :-

:- أربعه شاى يا فرحة للبهوات ، كان هناك مشترون يجلسون على الرصيف أمام الكشك ويعاينون الأقمشة بأطراف أصابعهم ، كنت أُقلب الشاى حينما لمحت أبى يتعكز على عصاه ، وهو قادم ، مررت لأعبر الرصيف ، فنظر إلىَّ فى غيظ اعتدته منه ، قال : - نصيبه تاخدك .

كان الضيق يخنقنى ، ولا أحتمله هو الآخر ، بعد أن مشيت خطوات استدرت برأسى ، وصحتُ فيه :- إن شا الله انت .

انهبدَ على الأرض جالساً وهو ممسك بعصاه ، وضعتُ الأكواب ، ووقفت مع الواقفين لأرى ريسنا مع اليهود فى نشرة ستة ، كان الرجل الطويل فى الوسط ، يبدو متهللاً وهو يضع يديه فوق اليدين الممدودتين للمصافحة ... أحسست من كلام الناس أن شيئاً مهما يحدث ، فنفثت غضبى ، وقلت وأنا أترك نشرة التليفزيون:

fb/mashro3pdf

:- ناس هايصة ، وناس لايصة .

ورجعتُ ، رميتُ الصينية على النصبة ، كان أبى سانداً ظهره على جدار دورة المياه ، وممسكاً بالعصا الواقفة قال :-

:- بقى إن شا الله انت ؟ آه يافاجرة يا بنت الكلب .

أحسست من وهن صوته أنه زعلان بجد ، وأنه يعرف كل شىء ، وليه لأ ؟ماهو الكلام عمال يتنطور هنا وهناك ، تمنيت أن أرمى نفسى فى صدره اعيط ، لكنى انكسفت أبص له حتى ولو للَومه، نادانى ، قدمتُ وأنا أتحاشى النظر اليه والدموع تتجمع فى عينى . قال :- مالك

قلت :- أبداً

وضعت يدى فوق وشى وانخرطت فى البكاء . كاد يقوم ، وقال بخوف

:- مالك يا بت ؟ إتكلمى حَد قالّك حاجة فى غيابى ؟

هل أقول له عن عويس الذى ضيعنى منذ أكثر من سنة ؟ وهو يخاف منه ومن سيرته ؟ هل أقول له على من يتحرشون بى ليل نهار؟ هل أقول له على من فَركَنى فى

fb/mashro3pdf

جدار الحمام بخمسه جنيه .

قلت له :- قلت لَكْ يابا مافيش .

قال :- لو كنتى تعبانة . رَوَّحى ، مش لازم تستنى فارس علشان ياخدك .

جلست بجانبه وأنا أمسح دموعى بالطرحة ، قال وهو يحدث نفسه ساهماً :

:- خيبة يكون الكلام صحيح ؟

أحسست أن روحى فى حلقى ، وأننى أختنق ،

قال :- مش قادر

وعندما سقطت النقاط الحمراء على الحصيرة خافت هناء وانطلقت فى العياط .

انتفضت ، وذهبت إلى دورة المياه جرياً ، مررتُ على عم "نصر الله" دون أن أستأذنه ، وأغلقت الباب على نفسى ، فتحت الحنفية وشددت الخرطوم ليكون ارتطام المياه على الأرض له صوت ، وأخذت ألطم ، وألطم بعزم ما فىَّ،

قلت :- يتجوزنى ، معقولة ؟

fb/mashro3pdf

وقلت :- يافضيحتك !

قال أبى :- يا فاجرة

قلت :- كفاية

قال :- مش قادر .

وكنت ألطم ، ألطم فى هياج ، حتى لم أعد أحس بالألم ، كنت أتمنى أن أصرخ .

شدنى من شعرى الملموم فى المنديل ، انزاحت الطرحة ، ووقعت على الأرض ، نادى أمى وقال :- شفتهم بعينى ، كانت ماشية معاه قدام سيما الصقر .

قالت أمى :- دى حته مقطوعة ، بتعملوا إيه يا فاجرة هناك ؟

قلت :- هوَ حرام . كل البنات بتعمل كده ، وهو قال لى ها يتجوزنى .

ضربنى احمد. وقامت أمي وانهالت بيديها الاثنتين تلطيشاً :-

:- ليه يا اختى ،إنت فاكرة نفسك السفيرة عزيزة .

صرخت :- مالكمش دعوة بيه .

fb/mashro3pdf

وصـرخت، وأخـذت ألطم وألطم . وجـاء عم عـبـده القـهـوجى وجـاءت الحـاجـة روحيـة وبناتهـا، قـال احمد:-

:- مافيش حاجة .

وقالت أمى :- بنت الكلاب ، ضيعت شقا الراجل كله ، وجاية تفرحنى .

حـاشـهـا الناس ، وكان فـارس فى حـجرته ، لم يكلف نفسه حتى بالخروج للفرجة .

خرجت من دورة المياه ، فوجدت " عويس " عاد بعد ان أنهى أحد أدواره ، كان جالساً على الأرض بجوار أبى . كنت أنوى الانفـجار فيه . وأعلن للدنيا كلـها أنه هو وأبى ورِجلى، والناس كلهم ، هم السـبب فى اللى أنا فـيـه . مررتُ أمامه . وكنت أحس بنظراته تخترق جسمى ، رغم وجود أبى بجانبه . قال لى :-قلت إيه فى موضوع حمادة الأقرع .

نظرت فى وجـهـه ، نفسـى لو آكله ، كان قـد فاتح أبى فـى أن الواد حـمـادة الأقـرع يوسطه فى طلب يدى ،

fb/mashro3pdf

وحمادة هذا لا توجد شعرة واحدة فى جسمه . ويلبس طاقيه صيف شتا ليدارى جلد رأسه ، ويدور فى الأتوبيسات بأمشاط ودبابيس وإبر ومرايات ، وجلد حنفيات . كان أبى قد قال :- الرأى رأيها .

وكنت أقول مندهشة :- حمادة الاقرع يا ابا ؟

قالت أمى :- إنت فاكرة نفسك السفيرة عزيزة ؟

لم أنطق ، جلست على الحجر بجوار النصبة ، بعد أن أنهى عويس كلامه مع أبى ، قام وأعطانى الكباية الفارغة. وهو يديرها بحركة رضي ويقول :

:- إتفضل يا جميل .

ثم مال علىّ ، وقال :- الساعة دلوقتى سبعة وربع ، تسعة بالظبط هاكون مستنيكى فين ؟ فى مدفن النبراوى.

ومضى عابراً فوق ظل أبى المفروش على الأرض ، بينما أبى رافعاً رأسه يحملق فى جرمه الضخم ، وهو يمشى بثقة ، بعد أن مضى ، نظر أبى إلىّ كأنه قد أفاق من الأفيون فجأة ، دَبَّ الشك فى صدرى ، لكنى كنت متأكدة أنه فى عالم تانى من زمان .

fb/mashro3pdf

8

كان " هيمة " يمرر يده فوق صدرى، فأحس بانتفاضة ورجفات ترج جسدى، صرخ فارس من بعيد :- فرحة .

نزلت مسرعة من الأتوبيس ، وجريت خلف دورة المياه هاربة ، وأنا أدارى صدرى بالطرحة ، سمعته يصرخ فى أبى ان سواقين الموقف يمسخروا بنته ، وهو قاعد مسطول ،

قلت كفاية ، .. ونقاط الدم كانت متجمعة فوق الحصيرة ، لم تستطع دموعى أن تمحوها ، وظلت باقية إلى أن جاءت أمى من السوق . قالت :- الدم ده من إيه يا ولاد ؟

قال :- لو ما كنتش متجوز ؟

ولم أقل :- حتى انت يا شايب ؟

وأقول لنفسى :- معقولة يا بت ؟

fb/mashro3pdf

أعطيته كباية الشاى ، فأمسكها ، ومَسَّ أصابعى ، ارتعشت ، قال أحمد : إنت مش صاحب فارس بس ، إنت بقيت واحد مننا .

قال :- هو مش كان عيش وملح ولا إيه ؟

قال فارس :- بيقولوا " بيجين " بيقول إن اليهود همّ اللى بنوا الهرم ،

قال :- البركة في اللى اداهم الفرصة يتصوروا جنبه.

قال فارس :- قرأت قصيدة أمل دنقل .

رد علاء :- مش بالكلام يا فارس ، مش بالكلام . ولا حتى بالسكات.

قال فارس : أُمال بإيه .

رد :- مش عارف . يا ريتنى أعرف .

وخلعتُ الطرحة أمام المرآة ، وأخرجت خُصلة من طرف المنديل ، ودخلتُ عليهم لآخذ الأكواب ، وأتأكد من أن حزنه هذا ليس من أجل بنت هجرته ، أو من أجل غربته عن أهله ، وأنه على وشك أن يعيط من أجل الكلام الغريب ده ، فيهمس لي بابتسامة يحاول أن يبديها :- متشكر .

fb/mashro3pdf

9

نظرت الموقف والحركة تخف منه قليلاً ، وانتهزت فرصة أخذ " متولى " الكمسارى كباية الشاى وهو جالس على الحجر ، وسألته عن الساعة ، قال :- تمانية وتلت .

أحسست بوجع كأن البواسير قد عادت فجأة ، وذهبت لدورة الميـــاه ، وأنا أمـــسك بالمرآة ، خلعت الكيلوت والسوتيان ، أنا أَوْلَى بيهم بدل ما يقطعهم تنقطع رقبته ، بَدَتْ حلمتا صدرى بارزتين من الجلباب الأسود . حاولت أن أكشكش جزء الطرحة النازل فوقهما ، بَلَّلت إصبعى ومررته على حاجبىّ ، أنزلت قُصة من المنديل الأحمر ، نظرت فى المرآة تأكدت أنى جميلة وليس لى حظ ، لويت شفتى ، وقلت :-

:- يا الله ، نصيبنا .

fb/mashro3pdf

وخرجت . مررت على عم نصر الله ، كنت عايزة أُسلِّم عليه قبل أن أمشى ، لكنى وجدته يميل برأسه ويشخَّر ، كان أبى ينظر فى الأرض أمامه ساهماً ، وممسكاً بكلتا يديه على عصاه الواقفة ، ومسنداً خده الأيمن عليها ، قلت له :- أنا ماشية ،

قال :- وفارس ؟

قلت :- مش طايقة أقعد أكثر من كده .

ولم أنتظر رده . نزلت الى شارع الدراسة ، وحَوَّدْتُ يساراً وبدلاً من أن أعبر الشارع وأدخل فى حوارى الكفر ، ظللت أمشى عابرة الجمعية التعاونية وصيدلية " الرضا " حتى كانت مستشفى الحسين أمامى . فحودت يساراً مرة أخرى بجانب الجنينة لاطلع لصلاح سالم .

كنت أنظر ورائى بين حين وآخر ،

قلت لصباح :- بحبه

قالت :- مش عارف ؟

قلت لها :- ولا دَرْيان

قالت :- إكتبى له جواب

fb/mashro3pdf

قلت :- نسيت القراية والكتابة

قالت : أخلّى الواد بتاعى يكتبه لك .

قلت :- مش دى المشكلة . أنا برضه ممكن اكتب .

قالت : خليكى جريئة .

قلت :- والنتيجة ، معقولة يبص لى ، وانا بالف بصينية الشاي ليل نهار ، وبرجلى دى ؟؟

fb/mashro3pdf

10

قلت له :- أنا شفت الكلام اللى إنت كاتبه فى الجرنان اللى مع فارس . ابتسم. وقال :- كويس ، بس أنا كده شغلت دماغك .

قلت :- يا خبر ، ليه يعنى ، هى مش مصر دى بلدى انا كمان .

شرد بذهنه وقال :- وأكتر من الكلاب اللى بيتكلموا باسمها، قلت لأخفف ضيقه : بس كلام حلو ، إنت مش بتكتب قصص ليه ؟

قال :- القصص كتير بس النفس اللى تكتب .

وضحك ، وضحكتُ لضحكه ، كنت أود أن أتعلق برقبته وأقول له من غير لف ولا دوران :-

: - أنا بحبك قوي .

fb/mashro3pdf

وقفتُ طويلاً أنتظر السيارات حتى أعبر صلاح سالم ، كانت السيارات تمر بسرعة ، انتظرت إلى ان هدأ الطريق ، فرفعت يدى أشير لأى سيارة مسرعة أن تنتظر وعبرت مهرولة أتعثر ، وانتظرت مدة أطول على الجانب الآخر .. إتجهت ناحية ترب الغفير ، كانت الحركة في الشوارع لم تخف بعد ، ولكن كلما دخلت أكثر ضاقت الشوارع وقَلَّت الحركة ، يزداد الحصى الكبير وأحجار المقطم الصفراء المفتتة ، اختفيت في فتحة مدفن عندما رأيت الحارس يَمُر ممسكاً بعصاه الطويلة ، وينقر بها الأرض ، وفور مروره ، هرولتُ أتعكز برجلى السليمة حتى وصلت إلى مدفن النبراوى ، خَبَّطتُ خبطات سريعة خافتة ، سمعت حمحمة ثم فتح الباب ، وظهر "عويس" بابتسامته التى تظهر بشاعة أسنانه ، دخلت وسمعت تزييق الباب الذى ظل مواراً ، كان الظلام لا يمنع من ظهور الشاهدين والورود الجافة فوقهما ، احتوانى من الخلف بينما كنت واقفة أرقب المكان الملفوف برهبة الموت، قال : هى دى أول مرة ؟

fb/mashro3pdf

لم انظر إليه ، وانما كنت أريد أن اجلس وأريح قدمى، غاب في الظلمة ، وأتى بخرقة لا لون لها ، نفس الخرقة ، فرشها على الأرض ،

قلت :- ياللا بسرعة .. أنا متأخرة ،

ضمنى ، وانكفأ بوجهه فوق شفتى ، أخذ لسانى فى فمه ، وظل يمصه ، بَدَأَتْ دغدغة تسرى فى جسدى ، بينما يده تسرح تحت جلبابى الأسود ، فتح البنطلون وجذبه فى عجل ، رفع الجلباب ، أحسست بلسعة برد ، نمت على الخرقة ، بجانبى الطرحة والجلباب والقميص الداخلى ، وكان المنديل متعلقاً بلفة شعرى فى الخلف ، بدأت أنفاسه تتلاحق فى صمت ، فأغمضت جفنى واستسلمت تماماً لثقل جسده فوق جسدى ، آهات بطيئة خافتة حتى دَسَّه، فأطلقتها مدوية ، ووسط حمم بدأت تتصاعد أخذت أُردد كفاية ، ظل صوت أنفاسه يتصاعد فى السُكات حتى كان نباح الكلاب الذى تعاظم واقترب ، فتحت عينى ، وجدتُ معالم المكان قد اتضحت ، وزرعة الصبار ، منزوية جانب الشاهد ومائلة عليه، اقترب من

fb/mashro3pdf

قمته ، فوضع كفيه فوق كتفى ، وأخذ يضغط بعنف ويسحقنى .. زَيَّق الباب وانفتح ، رفعتُ رأسى فرأيت فارس واقفاً عند أقدامنا بلا حركة، أدار " عويس " رأسه ليرى مَن دخل ، بينما أبحث عما يسترنى.

fb/mashro3pdf

الجمعة	٨ مارس ١٩٩١
8 March 1991	Friday

fb/mashro3pdf

أحمد

fb/mashro3pdf

مُسَوَّدَة التقرير رقم (٢٣) عن يوم الجمعة
الموافق ٨ / ٣ / ١٩٩١

1

فى تمام الساعة السابعة والنصف صباحاً ، عَبَرَ أحمد عبد الدايم فرج عَتَبَة منزله الحجرية ، ومضى جهة يمين الشارع ، صامتاً ، عميق النظرة ، لم يرفع عينيه نحو الناس الملتفة حول عربة فول " ام جمال " وانما قال لها .. بصوته الممتلىء :- السلام عليكم.

:- عليكم السلام يا شيخ احمد . اتفضل .

ظَلَّ محدقاً فى الارض ، وعرج الى شارع السكة الجديدة ، رفع بصره نحو دكان الحاج علي القَمَّاش، رآه وهو يضبط " أتواب " الأقمشة ، فألقى عليه السلام، لكن

fb/mashro3pdf

الحاج نظر إليه ، ثم غَضَّ بصره سريعاً ، وغاب داخل دكانه . اقترب احمد وقال له :- سلام الله لله يا حاج .

فجأة إرتفع صوت الحاج من الداخل ان إبعد عننا يا بنى ربنا يسترها معاك ومعانا.

فقال له أحمد بصوت جهير سمعه السائرون فى الشارع وصبى قهوة " شحتة " الذى كان يَمُر بصينية فوقها طلبات للزبائن :-

:- يا حاج لا تخف ظلم ظالم ، إتق الله فقط ثم احتسب ،

لم يَرُد أحد عليه ، فمضى في طريقه وهو يردد :-

- اللهم إنى أعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك ، وبركة جلالك . من كل آفةٍ وعاهةٍ ، ومن طوارق الليل والنهار ، إلا طارقاً يطرق بخير ، يا رحمن انت غياثى ، فَبِكَ أغوث ، وانت ملاذى ، فَبِكَ ألوذ . وانت عِياذِى ، فَبِكَ أعوذ ، يا من ذَلَّتْ له رقابُ الجبابرة ، وخضعتْ له أعناقُ الفراعنة ، اعوذ بك من خزيكَ ، وكشف سترك ، ومن نسيان ذكركَ والانصراف عن شكرك ، أنا فى حِرزِكَ ليلى

fb/mashro3pdf

ونهارى ونومى وقرارى وظعنى واسفارى ،

ذِكركَ شعارى وثناؤك دِثارى ، لا إله إلا انت تعظيماً لوجهك ، وتكريما لسبحاتك ، أجرنى من خزيك ، ومن شر عبادك . واضرب علىَّ سرادقات حفظك ، وادخلنى فى حفظ عنايتك ، وعد لى بخيرٍ منك يا أرحم الراحمين ، ياذا الجلال والاكرام .

ومن سؤال الثقاة ، عرفت ان ما يردده ، هو أحد اوراده الصباحية التي يحافظ عليها ، لكن زميله فى العمل . (رمزى محمد السيد) أخبرنى انها أدعية وعزائم يقولها صباحاً ليشكو فيها الله من عباده الذين يظن أنهم ظالموه ، ساعتها قلت له:-

:- يعنى شكاوى ؟

فقال رمزى :- ممكن .

ومن ساعتها أجهد نفسى كى أوردها بنصها عند سماعها ، لأرفعها إلى سيادتكم للبت فيها ، وأخذ اللازم.

fb/mashro3pdf

2

* الحاج على القماش وولده بهاء .

ليس للحاج على القماش سوى ولد وحيد يدعى بهاء .. ترك الدراسة في المرحلة الاعدادية ، ويعاون والده فى تجارة القماش بالدكان . وحتى كتابة هذا التقرير لم اشاهد هذا الابن رأى العين . لكنى عرفت من جورج رزق ميخائيل العامل فى محلات الشرنوبى للمشغولات الذهبية ، البيانات التالية عن بهاء :-

الاسم : بهاء الدين على بيومى

الجنس : ذكر

العمر : ٣٣ سنة

الطول : ١٧٠ سم

الوزن : ٦٨ كيلو جراماً

fb/mashro3pdf

رقم البطاقة : ٣٥٠١٤٧

الحالة الاجتماعية : أعزب

كما أفادنى جورج أن بهاء يبدو دائماً جهماً ، شارد النظرات ، ويقول لمن يضحك امامه :- كثرة الضحك تميت القلب .

وهو أيضاً ضعيف النظر وإن كان لا يرتدى نظارة ، أسمر البشرة ، شعر رأسه أسود خشن ، ودائماً يبدو حليقاً ، له زبيبة صلاة واضحة ، ولا يرتدى سوى الجلباب الابيض ، وطاقية شبيكة بيضاء ، ، وبنطلون ترينج ابيض اللون .

هناك تهشم واضح لقصبة انفه وجلد متآكل (لا ينكر أنه من تعذيب المعتقل) .

لا يأكل بإفراط ، ولا يشرب سوى الشاى الثقيل أثناء جلوسه في المحل ، يجلبه من قهوة قرنى ، صديقه أحمد عبد الدايم كان يشاركه فى شاى المساء قبل القبض عليه.

فى جيبه مصحف صغير . يفتحه عندما يجلس وحده ،وتقل طلبات الزبائن ، حيث يقرأ بصوت هادىء منغم

fb/mashro3pdf

(يقلد عند قراءته طريقة الشيخ السديسى) .

يعاون والده فى المحل من الصباح حتى آذان العصر . ويحافظ على الصلاة جماعة فى مسجد " الرحمة " يتابع بصفة منتظمة قراءة القرآن فى نفس الجامع المذكور ،، والتى تنعقد يومى الاثنين والخميس عقب صلاة العشاء ، وقد أخبرنى جورج أن هذا كان يحدث قبل القبض عليه فى شهر اكتوبر من العام الماضى مع صديقه احمد عبد الدايم ، وبعد خروجه فى شهر يناير حرص والده على عدم اختلاطه بأحمد عبد الدايم أو أحد من أصدقائه القدامى ، حيث أن والده يردد أن زملاءه هم السبب فى مصيبته .. ومنذ خروجه لم ينزل إلى العمل أو يقابل أحداً من أصدقائه ، واذا سأل عليه أحد طرده ابوه وعنفه ، بما فى ذلك أحمد عبد الدايم .

fb/mashro3pdf

3

قبل الثامنة بثوان إتجه أحمد الى باب الورشة . عَبَرَ الباب الحديدى لورشة " فتيحة " وقد أفادنا زميله أنه مكث فيها حتى قرب موعد آذان الجمعة . وقد أخبرنا أيضا انه عندما بدأ يومه داخل الورشة ، قام بتغيير ملابسه ، ووزع محفظته ونقوده ومصحفه في جيوب الأفارول الأزرق ، ووقف علي ماكينة الخراطة الخاصة به . انجز عدد سبع قطع من الترس المكلف بصنعه ..

وقد جاءه المعلم فتيحه صاحب الورشة في حوالى الساعة العاشرة ، وصَبَّح عليه فى ضيق ، ثم حذره تحذيراً يكرره عليه كل فترة . حيث ألحَّ عليه أنه يجب أن يزيد إنتاجه عن خمس عشرة قطعة فى اليوم ، وحينما قال له أحمد أنه يعمل بالإنتاج ولا يَمُن عليه أحد بمليم

fb/mashro3pdf

زيادة صَرَخ المعلم فتيحة بأن طاقة الماكينة ثلاثون قطعة ، وإنه بنومه هذا يعطل العمل بشكل غير مباشر ، وقال المعلم أيضاً أن لديه من الأسطوات بدل الواحد عشرة ، على استعداد أن يأخذوا نصف يوميته ، ويعملوا أكثر من خمس وعشرين قطعة . قال أحمد :-

: هم فين دول يا اسطى ؟

فقال له المعلم وقد إحمر وجهه :-

: إمشِ انت من وشى ومالكش دعوة .

ثم تركه وهو يبرطم بالكلام .

ظل أحمد مركزاً بصره عليه دون ان يعارضه أو يحاول ان ينكشه أكثر من ذلك بكلمة أو حركة ، وإنما سحَّت دموعه صامتة على وجنتيه ، فمسحها بطرف اصابعه وهو يقول :-

: استغفر الله .

عندما دَقَّتْ الساعة الحادية عشرة والنصف ، أوقف الماكينة واعطى صَبيَهُ المصحف ودخل دورة المياه ، تبول وتوضأ ثم خرج مُشَمر الذراعين وهو يحكم ساعته حول

fb/mashro3pdf

معصمه ، ويغمغم بأدعية، أخذ المصحف وقَبَّله قبل أن يضعه في جيبه ، واتجه خارج الورشة للصلاة . وهو يقرأ:

: ..... وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً ، الذين كانت أعينهم فى غطاءٍ عن ذِكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً ، أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ، إنا اعتدنا جهنم للكافرين نُزلا ، قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالا . الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ، فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هُزوا . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزلا ، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا . قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا .....

fb/mashro3pdf

4

لم يكن مسجد الرحمة قد ازدحم بعد ، فجلس أحمد فى الصف الاول أقصى اليمين . وأسند ظهره على جدار المسجد ، أخذ يستمع إلى خطبة الجمعة ، وكانت تدور حول إراقة المسلمين دم بعضهم البعض ، وان المسلم عندما يرفع سيفه فى وجه مسلم آخر ، فالقاتل والمقتول كلاهما فى النار . وفى الجزء الثانى من الخطبة نَوَّه الشيخ إلى أن صدام حسين أحد طغاة الارض الذين ابتلى الله بهم خلقه ، وأنه يجب علينا كأمة واحدة . ألا نعين الظالم على ظلمه ، ولكننا لا ينبغى علينا أن نسفك دماء الشعب العراقى الذى يعانى من ويلاته ، فنذيقه العذاب ضعفين .

وعندما اقام الصلاة قرأ فى الركعة الاولى بعد

fb/mashro3pdf

الفاتحة:-

" قل تعالَوْا أتلُ ما حَرَّمَ ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق . نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم ، فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، وإن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون "

وفى الركعة الثانية قرأ بعد الفاتحة قوله تعالى :

: أُذِنَ للذين يقاتَلُون بأنهم ظُلِمُوا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دَفْع الله الناسَ بعضَهم ببعضٍ لُهدِّمت صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكر فيها اسم

fb/mashro3pdf

الله كثيرا ، ولينصرنَّ الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور "

بعد الصلاة قام أحمد وصلى ركعتين سُنَّة في موضع آخر بالمسجد ثم ركعتين كنت قد ذكرت فى تقريرات سابقة انه اعتاد صلاتهما عقب كل فريضة رحمة لأمه المتوفاة وكذا سائر أموات المسلمين .. بعد انتهائه صافح الإمام وهمس فى اذنه بكلمات لم أتبينها ، ثم حمل حذاءه الكاوتش وخرج من المسجد مقدماً ساقه اليسرى عابراً بها فوق العتبة .

كانت هناك مجموعة من معارفه واقفة خارج المسجد . وعددهم ستة افراد ، هم :

١- محمد زكى عبد الحميد

وشغلته مبيض نحاس .

٢- الحاج كامل رمضان

وشغلته عامل بمحلات عوف للاقمشة .

fb/mashro3pdf

٣- ياسر مصطفى عبد الخالق

طالب بكلية الهندسة

٤- الاسطى سيد فهيم

وشغلته عامل بالمطابع الاميرية

٥- محمد فكرى السيد

طالب بكلية الحقوق.

٦- ايهاب رؤوف الطويل

وشغلته عامل فى مخزن ورق بالصنادقية .

صافحهم أحمد واحداً واحداً واستمع الى حديثهم دون ان يعقب.

كان ياسر مصطفى يقول ان الشيخ لم يكن جريئاً كعادته . فرد عليه الأسطى سيد فهيم أن الأمور واضحة للكل :

:- لصالح من ندمر بوابة العرب الشرقية بأيدينا .

ضحك ياسر وقال : اسرائيل الكسبانة من كل ده ، زى القشاط . طالعة واكلة ، نازلة واكلة ، إياكم تفتكروا إنها خايفة من حد لما سكتت على صواريخ " سكود "

fb/mashro3pdf

اللى نزلت عندها ، هى بس عارفة إنها لو سكتت هاتحقق مكاسب أكبر .

استأذن الحاج محمد زكى فقال له محمد فكرى :

:- انت خايف ولا إيه يا حاج ؟

فقال:- أبداً . انا بس عايز أَخَلَّص حتة النحاس اللي فى إيدى علشان اتفرج على الماتش .

طلب منه " كامل رمضان " أن يأخذه معه فى سكته .. فَضَلَّ أحمد كعادته ان يستمع دون أن يتدخل بالحديث ونود أن نشير إلى سيادتكم أن صمته ليس رفضاً لما يسمعه من أحاديث مناهضة للحكومة وقراراتها . وإنما هو موافقة عليها لا تجد اللباقة الكافية وطلاوة عرض الافكار كما قلت ذلك مراراً . فالمذكور فى كل تصرفاته ليس عضواً ايجابيا فى المجتمع ، ويكفى انه لم يسبق له الادلاء بصوته فى الانتخابات كما لم يسبق له ايضا أن تبرع من ماله الخاص من اجل سداد ديون مصر ..... عندما لمح امرأته خارجة من الباب الخاص بالسيدات ومعها ابنتهما ، ألقى السلام علي الجميع، وهرول ناحيتها

fb/mashro3pdf

، رفع ابنته زينب وقَبَّلَهَا ، ثم دار الحوار التالي بينه وبين زوجته ، والذى لم أسمع فيه كلمات الزوجة نظراً لانخفاض صوتها واختفاء شفتيها تحت النقاب الأسود .

قال أحمد عبد الدايم:-

:- ايوه . إن شاء الله جاى بدرى .

:- .....

:- طيب والفلوس ؟ انت عارفة إن مش معايا اشترى حتى شراب .

:- .....

:- وَصَلَتْ لحصالة البنت الصغيرة !!

يُقَبِّل ابنته :- ربنا ييسر .

ثم يُقَبِّل ابنته مرة اخرى : وأهى تبقى فسحة بالمرة.

وأنزل البنت ومشى معهما حتى محطة الاتوبيس ، وعندما تأكد من ركوبهما رَجَعَ إلى مكان أصحابه ، لم يجدهم ، فاتجه إلى الورشة ، كانت الساعة الثانية إلا خمس دقائق .

fb/mashro3pdf

5

فى تمام الخامسة غادر أحمد عبد الدايم الورشة مرتدياً جلبابه الابيض وطاقيته . واتجه إلى بيت حماته ، شارك زوجته وابنته الطعام ، ثم خرج .

كانت زوجته تمسك يد ابنته بينما عيناه ظلتا تجوبان المكان يمنة ويسرة . وهو يمشى بطيئاً ، وعندما وجد بائع فاكهة اتجه إليه، قَلَّبَ البرتقال . وساوم فى الثمن المكتوب . اتجهت امرأته إليه. كانت تذكره بشىء ما ، فترك البرتقال الذى كان قد انتقاه ، نادى عليه البائع .

:- تعال . عايز كام كيلو ؟

لم يتجه اليه . بل استمر ثلاثتهم فى طريقهم إلى المحطة . وقفاً طويلاً حتى جاء الأتوبيس المتجه الى روكسى . جرى نحو زجاج الواجهة وأشار للسائق على

fb/mashro3pdf

زوجته وابنته . ففتح السائق الباب الامامي بعد ان كان قد أغلقه ، ساعدهما أحمد فى الصعود ، وجرى نحو الباب الخلفى ، وجد موطئا لقدمه بصعوبة قبل أن يمرق الاتوبيس ، فانتفخ جلبابه الأبيض ورفرف فى الهواء .

حارب حتى اتجه إلى الداخل ، وظل يتزحزح حتى وصل إلى امرأته فى المقدمة ، مدَّ ذراعه فور اقترابه منها ، وشَدَّها بعنف لتقف أمامه ، ونظر إلى رجل كان يقف بجانبها نظرةً متوعدة ، لكن الرجل صوب عينيه إلى الشباك ولم يُعره التفاتاً ، فتمتم أحمد بعبارات لم أتبين منها إلا " ثبت قلبى على دينى "

عند النزول فى ميدان روكسى تدافع الركاب ، فتصايح معهم ، حاشته امرأته ، وبكت الابنة . عندما نزلوا ، نَفَضَ جلبابه بتكشيرة زائدة ، وتوعد الابنة التى تبكي . تَطلَّع إلى الميدان ثم امسك بذراع ابنته ، سأل امرأته : نستريح الاول ولاّ نتفرج ؟

قالت ولم اسمع . واتجهوا إلى صف المحلات الذى يصل بين الميدان وشارع الخليفة المأمون . توقفوا طويلاً

fb/mashro3pdf

عند ملابس الاطفال ومحلات الأحذية ، كانت عينا احمد تعبران فوق المعروضات وشفتاه تنطقان بتحسر: سبحان الله ، وحينما كانت عيناه تقع على الملابس الحريمى يجفل سريعاً ويُمسِّد شعر ابنته . تأففت الابنة وقالت وهى تهم بالبكاء : شيلنى .

فحملها وظل يمشى بها مخترقاً زحام المارين والواقفين أمام الفتارين . وكانت عيون ابنته تُسائل الزحام ، وتحدق فى صهد المارين خائفة ومتطلعة .

عندما تعب من حملها انزلها الى الارض ، فتضايقت ، وهمت أن تبكى . حاولت أمها أن تسكتها . واخبرها ابُوها أنه سوف يشترى لها جيلاتى . شَدَّد على زوجته ألا يغادرا هذا المكان . ومضى نحو محل قويدر . وقف مع كثيرين ، تطلع الي بنات يرتدين البنطلونات الاستريتش يقفن امامه . حَبَكَ الطاقية البيضاء ، ورمى نظراته الى أطباق التورتة . نادى على الذى يبيع :-

: تلاته يا ريس .

وظل ينتظر لأن الرجل لم يجد بقشيشاً في يده مع

fb/mashro3pdf

بُونْ الشراء. وقف طويلاً حتى مشى جميعُ المشترين ، وحينما فرغ البائع له ، اخذ منه " البون " باستهانة ، ولم ينصت لملاحظاته فى أن يُكْثر من الشيكولاته والفانيليا ويتوصى ،

أخذ الثلاث بسكوتات بين يديه ، ورجع إلى الفاترينة التى ترك زوجته وابنته عندها ، فلم يجدهما ، بحث بعينيه ، ومشى قليلاً حتى وجد زوجته تقف وحدها أمام إحدى الفترينات .. وكأنه نسى الآيس كريم فى يده وهو يسايل من حواف البسكوت . ولم يحس بالمارة وهم يحتكون به وهو يخترقهم مهرولاً . اتجه إلي زوجته الواقفة وحدها دون البنت وصرخ فيها بعنف : فين زينب ؟

تَطَلَّعَ المارة والتفتت إليه المرأة باستهانة . كاد أن يلقى بالبسكوتات الثلاثة ، لكنه جمعها فى يده اليسرى ، وبيده اليمنى المتسخةبالآيس كريم أمسك رداء المرأة الاسود وصرخ فيها : انت إطَّرشتى . فين البنت

نظرت المرأة إليه بعين مقتحمة مستغربة من وراء النقاب . وازاحت يده

fb/mashro3pdf

فانفجر : انطقى ؟ اتكلمي ؟

وهم بأن يمسكها من رأسها . تطلعت إليه نظرات . وتوقف أشخاص .. غدا بؤرة اهتمام المارين . وكانت المرأة تنفض يده عنها كلما حاول أن يمسك بها ، دون أن تنطق . جرى نحوه رجل بلحية طويلة وجلباب . ودفعه فى صدره ، وصرخ فيه شاتماً وهو يسأله :- مالك ومال مراتى يا جدع انت ؟

وقبل ان يدرى ما يحدث أمامه ، وجد زوجته مهرولة من الخلف .. اقتربت من الجمع الذى بدأ يتزايد عدده وابنتها فى يدها . قالت :-

:- فيه إيه يا أحمد ؟

تأسف للرجل وسط ذهوله . وبينما يزدرد ريقه . نظر إلى زوجته بغضب

وقال لها : إمشى قدامى .

حاول زوج السيدة الاخرى أن يتحرش به لولا بعض الناس .تفرق الجميع وتناثرت التعليقات

:- مافيش نظر ؟

fb/mashro3pdf

:- بس دى مراته ؟

:- وأعمى القلب كمان ؟

كانت ابنته زينب متعلقة بثياب أمها مذعورة . ابتسمت للجيلاتى وهى تمد يدها نحوه ، كان قد سال ولم يعد صالحاً ، لكنها اصرت على ان تأخذ بسكوتتها ، فأعطاها لها . اما نصيبه هو وزوجته ، فألقاه فوق قمامة مُكَومة عند مدخل أحد العمارات .

fb/mashro3pdf

6

عبر الطريق بينما يمسك بيد امرأته وابنته ، سار حتى حديقة روكسى ، وبحث عن مكان يخلو من الزحام ، ومن الماء الذى أغرق معظم أرضية الحديقة . جلس ثلاثتهم بعد فترة بحث واختيار بين عدة أماكن .

ظل الجو مكدراً قليلاً إلى أن نسوا ما فات . واخذ أحمد يبادل زوجته مداعبة الابنة ، ثم حدثها عن أخيه فارس ، وفرصة بيع البدروم أثناء وجوده .. شرد للحظات ، همست زوجته ، فأخبرها انه لم يَرَ فارس منذ أربع سنوات وقال .

:- كان أبويا وأمى بيحبوه عنى . كانوا دايماً بيحسسونى انه أحسن منى ، لو اتخانقت معاه يزعقوا فيّه ، حتى لو كان عندى حق . بحجة إن أنا الكبير ، وهو

fb/mashro3pdf

صغير ، " وفيها ايه لما يغلط " لما خرجت من المدرسة ما اهتمش ابويا قال : اهى فرصة تساعدنى شوية في مصاريف البيت وخصوصاً بعد ما دخل اخوك الجامعة.....

أهو اتخرج ، وسافر ، ولا افتكر أبوه ولا أمه ، وسابنى أنا وسط الهم .. تحسر وهو يداعب شَعْر ابنته ثم شَدَّ ملء يده من حشائش الحديقة :-

:- لَمَّا سافر وتعبت أمى كان كل الناس بيقولوا لى : امال فين فارس ؟ مش واجب يساعدكم.

كنت باسكت وانا مكسوف . هاقول ايه ، كتبت له جوابات اشكى فيها همي من البيت ومن المعتقل ، ولما لقيته وِدْن من طين وودن من عجين ، وَفَّرت جواباتى ، وقلت اعتبره مات وأَمَشِّى أنا أمور البيت .

لما الأمور إتازمت اكثر ، وقلنا نبيع البدروم للمعلم محروس . قالوا لازم موافقة الورثة كلهم .. أهو جه اللى فيهم ، أمّا نشوف هايشور علينا بإيه .

تمتمت زوجته فقال وهو يتنهد :-

fb/mashro3pdf

: أنا مش باشتكى ، انا بقول دايما يا رب . بس زى ما اللى قبلنا قالوا إيد لوحدها مش ها تسقف ... وده الحيلة ، عيب عليه يسيب لى المركب غرقانة . دانا أعرف واحد سافر بعده بسنة ، دلوقتى رصيده فى البنك ثلاثين ألف جنيه .

تمتمت زوجته مرة أخرى ، فاقتلع قبضة أخرى من الحشيش بعنف .

:- ربنا يغنينا . بس ابوه واختــه ، المفـروض انهم مسئولين منه زى ما همّ مسئولين منى .

سكَتَ وشرد ثم قال :- ربنا ابتلانى بعيلة !! الحمد لله على كل حال . لو كانت الزانية موجودة ، كانت كملت . ثم تمتم : اللهم اني عبدك وابن أَمَتِك .. ماضٍ فىّ حكمك .. عدلٌ فىّ قضاؤك .....

كانت ابنته قد جرت إلى النافورة التى ترسل رذاذ الماء . قام ليأتى بها وهو يوبخها لأنها بذلك سوف تأخذ برد ، ثم لعن الحكومة وسوء الادارة . وقال : يشغلوها فى عز الشتاء وفى الصيف ينسوها .

fb/mashro3pdf

استرخى ومَدَّدَ ساقيه وارتكز بكوعه على الحشيش . وحَدَّق فى زوجته الجالسة أمامه ، ويبدو انه تذكر الموقف الذى حدث . ابتسم وقال :

: مش قلت لك ما تتحركيش من مكانك . لامتى ها تفضلى ماشية من دماغك ؟

قالت ، فَرَدَّ وهو يبتسم : الحمد لله إنّك جيتى على طول .

استلقى تماماً وتوسد ذراعه. نظر إلى السماء التى بدأت الشمس تنحسر عنها . فترة ثم قَدِمَتْ ابنته الى أمها .

قالت : عايزة درة .

إلتفت إليها . وقال :- هى فين ؟

اشارت إبنته الى الرجل الذى يجلس امام كيزان الذرة فوق النار و قام ،قال لابنته :- استنى مع امك

ساوم الرجل ثم اشترى كوزين . اعطى ابنته واحداً . واقتسم الآخر مع زوجته .

قالت ، فقال لها :- ايوه . عامل حسابي ، على الله بس

fb/mashro3pdf

البرتقان هناك يكون رخيص زى ما قولتى .

بعد أكْل الذرة قام وطلب من طفل يركب دراجة ان يأخذ ابنته خلفه كانت الطفلة خائفة وهو يضبط جسدها فوق الدراجة ، لكنه ظل مهرولاً جانبها وهو يضحك حتى نادت والدة الطفل عليه ، فانزل ابنته وشكر الطفل . ثم جاء الى زوجته ، وروى لها الموقف ، واشتكى لها من الام التى تربى ابنها على كره الناس .

:- ربنا يرحمنا ، ما عندهاش نظر دى ، مش شايفة ان البنت صغيرة .

ظل يتحسر ، ثم قال :- ياللا . وطلب من زوجته ان تهم بالقيام ، نفض جلبابه الابيض وحبك طاقيته ، أمسك بيد ابنته ، وعند عبور الطريق حملها ، ثم انزلها لَمَّا جاء الاتوبيس ، حَشَرَ زوجته فيه من الخلف وهى تحمل ابنتها . وامسك هو طرفى الباب بكلتى يديه حتى دخلت الزوجة.

fb/mashro3pdf

7

تشاجر مع رجل رفض أن يجعله يمر ، وطلب من فتاة جالسة أن تتزحزح حتى تجلس زوجته ومعها الابنة .. نزلا بعد مدخل مدينة السلام عند محطة القسم ، اشترى اثنين كيلو من البرتقال بعد مساومة شديدة مع البائع ، ثم استقلوا ميكروباص متجها الى منطقة اسكندرية. .نزلوا فى محطة النادى ، وعبروا الطريق ، تبرم من مدخل البيت المظلم ، ثم صعد درجتى السُلم ، أُضيئت الحجرة الارضية وظهر خلال شباكها المغلق منه ضلفة واحدة ، اعقبته زوجته ثم اخته هناء حاملة ابنة اخيها تلاعبها وهى تضحك . استيقظ ابوه النائم فوق الاريكة ، وعانقه احمد .. بعدها سأل عن فارس الذى لم يأتِ ، فقالت له اخته :-

fb/mashro3pdf

:- والنبى ما شفته لغاية دلوقت ؟

وأخذ الاب يشكو جحود الابناء بلسان ثقيل :- أهو انت عايش وسطنا . وقاعد عند حماتك ، جد بيشوفك إلا كل سنة مرة .

ثم قال انه ما كان يظن أنه سيعيش حتى يرى خلفته يفعلون فيه هكذا .

قَدِمَ من اول الشارع شاب نحيف ، اقترب من البلوك وسأل عن عنوان ثم عبر إلى المدخل . فتحت له الاخت الباب عندما ضغط الجرس .

وزعقت لمن فى الداخل :- فارس .

بكي الاب وهرول أحمد . تعانقا طويلاً ، واجتاح الاسرة كلها شجن جامح لمدة من الوقت .

fb/mashro3pdf

8

* فارس عبد الدايم فرج

هو الشقيق الذى يلى احمد . يعمل فى السعودية منذ اربعة اعوام ، وقد افادنا جيرانه ببعض المعلومات عنه ، إلا انها لا تفصح عن كثير ، فليس هناك بالشارع مِنْ صديق له ، ولا يوجد أحد على معرفة وثيقة به ، فقط ثمة ذكريات متناثرة على افواه البعض ، تخلو من الدقة ، وليست متواترة ، بعضها يذكر انه كان يمضى ايام الدراسة وحده ، أو بصحبة زميل له يدعى حسين وهو مُلْقٍ بحقيبة مدرسته خلف ظهره ، وينظر في الارض بانحناءة شاردة ، لا يتطلع الى احد أو يلقى سلام ، والحاج مدكور المكوجى يُصر على انه كان يلقى عليه الصباح عند خروجه ، ويتوقف عند دكانه قبل ان يمضى

fb/mashro3pdf

فى عتمه المساء .

واخبرنا زميل دراسته حسين ان المذكور كان مقبلا على الحياة فى البدء متباهياً باسمه . ثم قرأ فى صباه ديوان شاعر لا يذكر اسمه معنوناً باسم " احلام الفارس القديم " ، عشقه وحفظه .. وكان يردد سطوراً منه على اصحابه فى المدرسة ، حتى اصطبغ بصبغه الحزن مع مرور الزمن .. حارب أباه واستمر فى دراسته وتمنى أن يكون شاعراً ، تخرج من كلية الاداب ، وعمل شهوراً مدرساً فى مدرسة ابتدائية خاصة ، ثم فى مكتب استشارى ، وكان يكتب مقالات نقدية وحوارات فى المجلات والجرائد العربية ، ثم عمل عن طريق وساطة فى مكتب تابع لصحيفة عربية ، وبعدها استطاع ان يسافر الى السعودية ليعمل صحفياً هناك . لكنه يتابع الدواوين الشعرية التى تصدر ، بالدراسات والمقالات النقدية ، وقد رجع منذ يوم " ٢ " مارس الجارى ليشارك فى انتخابات نقابة الصحفيين . قال صديقه علاء الذى كان زميلاً له فى الجامعة انه كانت تنتابه بين وقت وآخر .نوبات بكاءٍ وحزن لذكرى اختٍ له تدعى فرحة

fb/mashro3pdf

9

بعد فترة من اللوم طالت ، دخل احمد في الموضوع الذى جاء من أجله ، نظراً لانه يريد أن يرحل لينام مبكراً . قال ان البدروم لم يعد صالحاً لكي يستفيد منه احد . اللهم إلا المعلم محروس صاحب المقهى . وقد طالبهم الرجل بشرائه ليجعله مخزناً للمقهى ، وهم لن يتركوه من أجل خاطر عيونه ، بل مقابل نقود تنفعهم فى هذا الزمان الذى ضن فيه البنى آدم على أهله بالقرش وهو يعلم أنهم فى أَشَدِّ الحاجة إليه .. قال ان الامر سهل . فقط يقتضى التنازل عن عَدَّاد النور فى مصلحة الكهرباء ، والباقى بعد ذلك على المعلم محروس كما أفهمه .

كان فارس يومىء في صمت موافقاً على كلماته ، وبعد أن انهى احمد حديثه الطويل سأله اخوه عن المطلوب منه

fb/mashro3pdf

. قال احمد :- تتنازلَ عن حقك فى البدروم لتسهيل البيع

.. تساءل فارس

:- ليه . هو البدروم بتاع مين ؟

:- كان باسم الوالدة الله يرحمها ..

اخرج فارس قلماً وقال لاحمد :- هات ورقة وملينى صيغة التنازل . بعد أن كتب التنازل ، تمّلاه ثم نظر إلى أبيه ، وسأله ان كان يريد شيئاً .

قال الاب له :- إنَّك تسأل عنى وعن اخواتك .

سكت فارس طويلاً ثم قال بهدوء :- مافيش حد عالم بظروف حد.

قام وقال :- أنا ماشى .

اندهش الإب وسأله أن يبيت في الشقة :- دى فاضية علىّ أنا واختك .

:- أمشى أحسن .

كان واقفاً . ولا مجال لكي يجادله أحد . بكى الاب فأخبره انه مسافر غداً ولابد أن يرجع إلى الدَرَّاسة لاخذ لوازم السفر التي تركها هناك . أخبره أبوه أنه يجب أن

fb/mashro3pdf

يبيت معه فربما لا يراه عندما ينزل فى المرة القادمة .

صافح اخته بيده دون ان يُقَبلِّها ودون ان يستمع لتوسلات ابيه . قال الاب ورأسه فوق كتف ابنه بعد أن احتضنه :- ليه يا بنى كده ؟

ضحك احمد وقال :- الله يرحمك يا امى . كانت دايماً تقول ، نفسى اعرف الواد فارس ده طالع جاحد لمين .

ابتسم فارس وهو يتجه ليصافحه ، لكن احمد أخبره انه سوف يمضى معه ، فى الشارع نصح أحمد أخاه ان يرجع إلى ربه ويواظب على الصلاة . " فمن توكل على الله فهو حسبه "

وعند محطة الاتوبيس ، اخبره أحمد عن وضعه الجيد في العمل ، وحَدَّثَه عن زوجته الحامل في شهرها الثالث .. طلب منه ان يرجع ليستقر ويتزوج لأن العمر يمضى . حدثه ايضاً عن ضيقه بالسكن مع عائله زوجته ، والقروش التى لا تكفى ، وأبيه الذى انهكه الشلل والربو .. ثم سكتَ فى وسط كلماته .. لم يُعَلِّق أخاه. أومأ فارس ثم تنهد واخرج من جيبه علبه سجائره ..

fb/mashro3pdf

جـاء الاتوبيس . زعق احمـد أنه يمر على الدَرَّاسَـة ، بينمـا يسـاعد زوجـته فى الصـعـود من الباب الامـامى .. صـافح اخـاه الذى رفض الركـوب مـعـه قـائلا أن هناك مشاوير اخرى سوف يقضيها قبل الرحيل .. تَذَمَّر سائق الاتوبيس وكاد يمضى . هرول احمد وتشعلق بالباب فى آخر لحظة ، وقال بينما الاتوبيس يبـتـعد :- لازم اشـوفك تانى ان شاء الله .

ورفع يده ليودعه ، فكادت يده الاخري المسكة بالباب تنفلت .

fb/mashro3pdf

10

كان يمضي حاملاً طفلته النائمة ، وفى راحته اليمنى خمسة أرغفة . وحيداً بعد ان سبقته زوجته عندما وقف في طابور الفرن .. تَطَلَّعَ يمنة ويسرة عند أول الشارع وآخره . وعندما تأكد من أن أحداً لا يتعقبه دخل فى منزل حماته ..

وكان ذلك فى تمام الساعة الحادية عشرة وخمسة واربعين دقيقة .

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الثلاثاء ٥ مارس ١٩٩١

Tuesday 5 March 1991

سهام

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

١

جَذَبَتْ الستارة لتحتمى من الصباح النافذ ، فتكسرت اشعة الشمس ، لكن ضوءها لم ينمح من حجرة " نادية " الواسعة . صوت الاطفال قادم مع صخب العصافير وابواق السيارات .

أغلقت عينيها وفتحتهما ، وحينما ادركتْ أنها وحدها فى الفراش ، فرَدَتْ يديها ، ووسعت ما بين ساقيها ، رَفَعَتْ حمالتى قميص النوم اللتين إنزاحتا عن كتفيها ، ثم بانتفاضة ودون تفكير .. أنزلتهما وأخرجت ذراعيها منهما . رَفَعَتْ خصرها لاعلي وأزاحت القميص عن جسدها بكامله ، فتبدى فوق عشب مُهَشم من رسوم الملاءة التى تكرمشت وانزوت تحته .. خلعت آخر قطعة ، وشبَّكَتْ ذراعيها خلف رأسها ، أخذت تتملى فى الجسد الممدد ،

fb/mashro3pdf

واضح التفاصيل .. تواترت عليها نظرات العيون وهى ترمقها فاغتبطت ، أحست بانتفاضة سعادة ، قامت ووقفت في مواجهة المرآة ، وقالت :- واو ،

تحسست انتفاخ الجفنين ، بَلَّتْ شفتيها ثم ابتسمت لصورتها فى المرآة ، قرَّبَتْ وجهها وقَبَّلَتْ صورتها ، ودَّتْ لو تحتضنها بقوة ، لكنها اكتفت بأن تضم ذراعيها على صدرها الممتلىء . كان الصداع يضغط على رأسها فأزاحت خصلات شعرها عن وجهها ، وضغطت باصبعيها علي جبهتها ، دخلت التواليت . وجدت أن نادية لم تفتح السخان بعد . فأحضرت علبة الثقاب وأشعلت أعواداً كثيرة حتى إستمرت شعلته . أحضرت سيجارة ، وبَلَّتْ شفتيها قبل اشعالها ، دخلت إلى الحجرة مرة ثانية لتحضر فوطة نظيفة .

وعندما فَتَحَتْ الدولاب فاجأها جسدها العاري ، تَمَلَّتْه قليلاً . لفتت انتباهها بثور قليلة فوق كتفها الأيمن ، فأحضرت كريم إيفا ورطبت به كتفها كله ، وانتظرت حتى تنتهى السيجارة ، ثم اخذت الفوطة واتجهت للتواليت . .

fb/mashro3pdf

جذبت سلك التليفون وحملته معها ، لفَّت شعرها وضمته داخل البونيه البلاستيك ،

حينما انهمر الماء فوقها إحتوت صدرها بذراعيها واستقرت . استقبلته ساخنا . وبنهم اخذت تضغط باللوفة على الجلد حتى ضرب بياضه الى الاحمرار . مرَّتْ بيدها فوق عانتها تنظفها ، فنظرت إليها لتطمئن علي طول شعرها ، وتذكرت حينما كان خالد يشدها منه .

قالت له من خلال ابتسامتها :- بيوجعنى .

قال لها :- وانا كمان

جففت جسدها ، ولَفَّتْ البشكير حوله ، مضت ناحية المطبخ ، كانت راغبة فى أكل أى شىء لأخذ " الابتاليدون " .. لم تجد فى الثلاجة غير البيض وقطعة جبن وخضروات للسلطة . إستقر رأيها على جزرة . واخذت بطرفى إصبعيها قطعة جبن صغيرة ، وتناولت باسنانها فتاتاً صغيراً منها كل لحظة لتذوبه داخل فمها ، قَشَّرَتْ الجزرة بالسكين . واخذت فى القضم ، أعَدَّتْ الشاى .

وحينما خرجت من المطبخ أحست بالبرد . وضعت

fb/mashro3pdf

كوب الشاى سريعاً ، وحركت يدها بتوجع ، هرولت الى الدولاب وجذبت بنطلوناً " استريتش " وبلوفراً طويلاً .

إرتدتهما وهمهمت :-

:-أحسن.

حينما لامس الصوف الخشن حلمتى ثدييها أحست بقشعريرة فدعتكهما برغبة ، إتجهت الى الانتريه البُنى ، وجلست على البوف بين الكرسيين ، وضعت الشاى والتليفون على الارض ، مَدَّتْ يدها والتقطت حقيبتها ، إبتلعت قرصين ابتاليدون ، وشاورت نفسها ثم إبتلعت الثالث سريعاً قبل ان تتراجع ، وضعت كوب الماء بعيداً فى مكانه فوق الصينية . مَدَّدَتْ ساقيها وضَغَطَتْ على ازرار التليفون :-

:- الاستاذ خالد لو سمحت .

ثم حملقت فى السقف تنتظر تذكرت ما حدث أول أمس ، وثنتْ قدمها يميناً ويساراً وهى تتملاها ، تذكرت أنه ينبغى عليها لبس جورب .

fb/mashro3pdf

إرتدى خالد ثيابه ووقف امام المرآة يصفف شعره بهدوء استعداداً للنزول . عَبْرَ المرآة كانت سهام تبدو خلفه فوق السرير . ترتكز بكوعها على الوسادة ، وتحدق فيه باهتمام . ابتسم فى المرآة وهو ينظر إليها فابتسمت . قالت :- انا حاسة انك just عايز تنام معايا .

لم يعقب خالد واستمر فى تصفيف شعره . سألته بشكٍ حقيقى :-

:- انت لسه بتحبنى يا خالد ؟

- .....

نهضت ، ووقفت بجانبه ، ثم وضعت يدها فوق كتفه لتجعله يلتفت اليها ، استدار ، قالت :- كل اللى باكلمهم عنك بيحذرونى ، لو صدقتهم يا خالد ها اضيع.

أحاط وجهها القَلِق براحتيه ثم قَبَّلَها ، وقال بهدوء

:- ياللا . علشان ألحق أوصلك .

إبتعدت عنه . وصرخت فيه انه يتهرب من سؤالها رغم معرفته انها قلقة .. فصرخ هو الآخر وهو ينظر فى ساعته أنه تأخر . وعليه ان يذهب ، اخبرته انه من الممكن

fb/mashro3pdf

ان يمضى إذا اراد . كانت تعلم ان هذا مستحيل. فخالد يعرف تماماً كم تبعد المسافة من مدينة العاشر من رمضان إلى القاهرة ، وسَفَر فتاة وحدها فى هذا الليل مثار دهشة ، وشك ، مما يجعل من يوصلها يحاول بشتى الطرق النيل منها . تصاعد العناد بينهما ، فارتدت سهام قميص نومها الشفاف ، واشعلت سيجارة وهى تبكى ، ثم جلست على الكرسى البلاستيك الابيض . عازمة على ألا تذهب الآن . مشى اليها ووقف قبالتها ، حذرها وهو يقف عند نهايات الكلمات :-

:- ياللا يا سهام احسن .

نظرت اليه فى لوم ، ثم خفضت رأسها كأنها لم تسمع شيئاً . فاستدار ومشى بهدوء ، وضع قدميه فى الحذاء ، سحب المفتاح من الباب ، ونظر اليها . قال :-

:- على راحتك .. مع السلامة .

وصفع الباب خلفه ، بينما كانت جالسة تتعقبه بالنظرات ، وجسدها كله ينتفض من الغضب .

:- أهلاً يا حبيب قلبى .. إنت جيت إمتى يا توتى ؟

fb/mashro3pdf

.....

..

سألته إن كانت تعطله عن العمل ، ثم اخبرته بما حدث أول أمس ، وتقلص وجهها بشدة وفَرَّتْ دمعات عندما ذكرت والدها . قالت :-

:- آسفة يا خالد . أنا أصْلى زهقت .

:- .....

:- لأ . لازم تشوف طريقة Eny Way.

:- .....

اشعلت سيجارة ، وجذبت نفساً عميقاً وقالت :-

:- آه يا سيدى .. هنا كمان .. الظاهر ماما اللى اديته رقم التليفون .

كان حِجْرَ بنطلونها ملتصقا بما بين فخذيها ، فشدته بتأفف تبعده ، نهضت واكملت واقفة :- ماينفعش النهاردة ؟؟

:- .....

fb/mashro3pdf

:-OK ، أنا بس كنت عايزة اجيب طقم الترابيزات قبل ما فلوس الاسورة تضيع منى علي الكلام الفاضي ،

:- .....

:- لأ ، ما حدش شافهم . بس أنا كل حاجتى مكشوفة قدام نادية ، وخايفة تعرف ان معايا فلوس تسحب منّى على الفاضية والمليانة .

رن جرس الباب ، فقالت له :- اسيبك دلوقتى ، ها بقى اتصل بيك بعدين . لو فضيت حاول تتصل . انا مش خارجة ..

ثم قَبَلَتْهُ في التليفون قبلات عديدة .

وقالت : - ياللا باى.. لا إله إلا الله .

ثم أغلقت السماعة . جرت ناحية الباب وفتحته ، دخلت أمها ، فقبلتها ، وأغلقت الباب سألتها امها عن حالها ، ونظرت إلى جسدها ، فأنزلت سهام البلوفر من الخلف بطرف اصابعها ، حتى لا تعرف امها انها لا ترتدي شيئا تحت البنطلون . أخذت الام تستطلع الشقة ، وتتقصى ما فيها ، وكأنها تتأكد خلوها من أحد مع ابنتها ، فى بحثها

fb/mashro3pdf

رأت الطقطوقة تحت كرسى الانتريه ، قالت :-

:- على الصبح كده ؟

وضعت التليفون فوق المدفأة الجدارية ، وقالت :- خالد برضه ؟

قالت لها سهام بحدة :- ماما . يا ريت ما نفتحش السيرة دى تانى .

وارت امها ضيقها ويأسها من ابنتها . كانت تود ان تذكرها للمرة المليون انه بقى لها على سن الثلاثين شهور قليلة ، وأن الفرصة التى تذهب ، لن يأتى مثلها ابداً . لكنها وجدت أن من الانسب موافقة ابنتها على عدم فتح هذه السيرة . على الاقل فى هذا الوقت المبكر.

:- قادر يا بنتى ربنا يهديكى .

جَزَّتْ سهام على اسنانها وحدثت نفسها :- ياريته ما يهدينى ، وأتجن فعلاً ، واسيب لكم الدنيا وأهج ، حاجة تقرف .

اضافت الام :- يا ترى بتعملى اللى الشيخ قالك عليه؟

لم تَرُدْ سهام ، وتبادلا النظرات المنفلتة والصمت الذى

fb/mashro3pdf

لا يخلو من كل النقاشات التى استهلكت سبع سنوات .

ذهبت سهام تفتح الراديو ، وعندما عادت ، عبثت فى حقيبة امها ، حتى تُغَير الهواء الراكد بينهما . طلبت منها الام ان تقوم معها ليذهبا ويشتريا الطلبات من السوبر ماركت . انتفضت سهام

:- انا جاهزة،

صوبت الام نظرتها الي صدر ابنتها ، وهَزَّتْ رأسها اسفاً ، قالت :-

:- لاحسن بتقولى باباكى ظالمك .

نظرت سهام الى صدرها ، فأحست به تحت البلوفر ، قالت لامها وهى ذاهبة اليها مداعبة كأنها ستفتح البلوزة التى ترتديها تحت جاكت التايير : طب ورينى كده .

صَدَّتْ الام يد ابنتها الممدودة وهى تبتسم :-

:- إختشى ، وادخلى إلبسى حاجة .. ياللا . انا اتأخرت كده على باباكى

دخلت سهام الى حجرة نادية ، وخرجت مرتدية الكاب الاسود فوق البلوفر والبنطلون . ضمته على

fb/mashro3pdf

صدرها وهى تقترب من امها وقالت :- ياللا ؟

هَمَّتْ الام بالنهوض ، وقالت مستسلمة :- ياللا .

قبل ان يغلقا الباب ، تذكرت سهام وجرت الى الداخل مرة اخرى ، عبرت الطرقة والصالة بحثاً عن المفاتيح ، رَمَتْ نظراتها المتعجلة فوق المدفأة ، ومنضدتا الانتريه الوسطى والجانبية ، وجدتها هناك ، فوق ثلاجة المطبخ . إلتقطتها ، ووضعتها في حقيبتها وجرت . دفعت الباب بشدة فجلجل صوته مدوياً ، وتزلزلت الجدران ، ووقعت النتيجة القماشية المثبتة فوق الباب

fb/mashro3pdf

2

أخذت حقيبة الخضروات من يد أمها ، وَقَّربَتْ إليها خدها الايسر لتقبله ، ثم الايمن .

:- أشوفك بكرة .

وإرتسمت الابتسامات قبل أن يفترقا ..

مضت سهام حتى خرجت الى طريق النيل ، اتجهت يمينا ، وعبرت المركز البريطانى ، كان طلابه محاطين باسواره العالية ، يجلسون علي سلالم مبناه الاليزابيثى أو يتمشون فى الممرات بين الاشجار والحشائش المعتنى بها .

التفتت سهام جهة اليسار على صوت بوق سيارة . كانت " جولف " ركنت لتوها ، وصاحبها بالداخل لم يُكَلِف نفسه ويخلع نظارته الشمسية . اشار إلي سهام بيده أن

fb/mashro3pdf

تأتى ، فنظرت إلى الامام بعصبية . ظل يمشى محاذيا لها إلى ان يئس فضغط بقدمه علي البنزين لتنطلق السيارة فجأة محدثةً صوتاً مدوياً ، وبعد مسافة بعيدة ركن سيارته ، وكانت كشافات الانتظار الخلفية بها تضيء وتنطفيء .

ابتسمت ، ونقلت حقيبة الخضروات من يدها اليسرى الى اليمنى ، واستمرت تدقق النظر فى النساء الواقفات على محطة الاتوبيس ، بعد فترة كانت سيارة اخرى في انتظارها ، تزعق بصوت الكاسيت . نظرت اليها بينما زجاج السيارة الغامق يفتح اتوماتيكيا . كان وجهه أشقر وبلحية نابتة . نظر اليها دون حركة ، لم تكترث به ، فظل يمشى متمهلاً بمحاذاة الرصيف على ايقاع مشيتها ، وفجأة . سَكَتَ الكاسيت وارتطم باب السيارة ، نظرت فوجدته نحيفاً ووسيماً يتمطع خلف سيارته .. كان يرتدى جاكت جلد بنى محروق وبنطلون جينز . صعد الرصيف وداعب ميداليته . رأت ظله يقترب منها ، حتى حاذاها ، سألها عن كافيتريا " نعمة " فلم تجب . قال انه يريد ان

fb/mashro3pdf

يتعرف عليها ، فلم تنظر إليه . عرض عليها ان يجلسا فى ديسكو فندق شهر زاد . فلم تنطق. طلب منها ان تمنحه النظر إلى عينيها على الاقل قبل ان يمضى ، فهو لا يريد أن يضايقها . أعجبتها تلك الاسطوانة . فأرسلت له نظرة مغوية . تأكد أنها تريده . . فقط قليل من الوقت والجهد . ثابر واستمر يحدثها عن نفسه ، ويسألها عن مسكنها . واذا كانت قد اقتربت منه ، فالافضل ان تركب معه حتى تتبعد قليلا عن منطقتها . كانت تمشى دون ان تنظر اليه ، بل تحدق في المارين ومبنى مستشفى الضباط الذى بدأ يلوح . أما هو ، فقد زاد قلقه من إبتعاده عن سيارته .. عندما استدارت حول المستشفى يمينا لتدخل فى شارعها كان لا يزال يلتمس منها ألا تحرجه . دهمها شعور انه ليس رجلاً ، ولم يعجبها خوفه ، فازدادت نبراتها حدة وهى تقول ان منزلها اقترب وانه يجب أن يحس على دمه بدلاً من بهدلته فى الشارع . قبل ان ينسحب اخرج كارتاً ومَدَّ يده به فى تردد :-

:- لو حبيتى تكلمينى ، لأنى اتمنى اعرفك .

fb/mashro3pdf

جذبت الكارت باصبعيها فى حدة ، ونوت ان تلقيه على بعد خطوات امامه قبل ان يمشي ، لكنها رأت انه delicate ودلوعه مامته ولا يتحمل هذه القسوة . مَرَّتْ على الصيدلية ، وألقت الصباح على صديقها الدكتور ، فَمَدَّ يده ليصافحها ، انتظرت حتى يفرغ من زبون. ثم رفعت له يدها واشارت بالعدد ثلاثة ، دخل حجرة تحضير الادوية ، وخرج بثلاث شرائط ابتاليدون ، لَفَّهما فى ورقة واعطاهم لها . اخذ نقوده ، ومَشَتْ .

fb/mashro3pdf

3

اغلقت الباب ، رأت النتيجة واقعةً على الارض ، فثنت ركبتيها وإلتقطتها ثم علقتها علي الباب ، خلعت حذائها وألقت بالحقيبة فوق طاولة المطبخ ، خلعت الكاب وهى تعبر الطرقة ، نظرت إلى حجرة خالتها " فاتن " ، كان سريرها خالياً ، وعتمة الستارة تنشر صمتها فى الحجرة ، دخلت حجرة نادية وألقت الكاب فوق كرسى التسريحة ، ووضعت يدها تحت البلوفر لتدخلها بين جسدها والبنطلون وتتحرر من ضغطه ، جلست على حافة السرير مفسحة ساقيها ، أحنت جذعها ووضعت وجهها بين يديها ، نظرت الى المرآة أمامها .. كان الصداع يضغط على عينيها ، فقامت وفتحت ورقة الصيدلية ، اتجهت بشريط من الحبوب الى التواليت . اخذت ثلاث اقراص ابتاليدون

fb/mashro3pdf

وابتلعتهم مع مياه الصنبور ، عندما رفعت رأسها ، نظرت تجاعيد وجهها فى المرآة . اقتربت منها وأخذت أناملها تتفقد التجعيدات النابتة تحت العينين وعند زاويتى الشفتين ، حتى ملأ بخار فمها المنفرج سطح المرآة ، فكفَّتْ . ثم رسمت باصبعها علامة " × " بالبخار .. وضعت يدها في خصرها وهى لا تزال تحدق ، تذكرت شيئاً ، فذهبت مسرعة الى التليفون ، سألت الدليل عن رقم تليفون مركز نانا بيوتى سنتر ، اتصلت ، مشغول ، كررت المحاولة مرات عديدة حتى أفلحت ، سألتهم عن تكاليف عمل الماسكات واجراء جراحة فَرْد الوجه ، اطلقت آهات دهشة كثيرة ، اخذت العنوان ووعدتهم ان تمر عليهم ، ووقتها سيكون هناك كلام آخر عن هذه الاسعار . " ميرسى "من كلا الجانبين ووضعت السماعة.

اشعلت آخر سيجارة معها واسترخت على كرسى الانتريه ، جذبت انفاساً عميقة وعندما انتفضت ابعدت يدها بالسيجارة عن وجهها . كان جرس التليفون يرن :- ماما . اهلاً .

fb/mashro3pdf

اخبرتها امها ان أباها يتصل منذ مُدَّة والتليفون يعطيه مشغول.

:- كانت واحدة صاحبتى .

أنبتها أمها وقالت :- انتِ مش عايزة تجيبيها لبر

سألتها سهام :- وهو كان عايز إيه ؟

اخبرتها امها انه كان يريد ان يطمئن ، صرخت سهام فى امها بألا تجعله يحاول ان يكلمها لانها ستغلق السماعة فى وجهه ، عاتبتها الام ثم قالت

: - صحيح ، قبل ما أنسى ، سيمون اتصلت بيكى . كانت عايزة تطمئن عليكى .

سألت سهام نفسها عن الذى جعل سيمون تتذكرها بعد هذه المدة الطويلة . لم تجد جواباً ، فأحست ان سيمون والمكالمة لا تهمها . سألت أمها عن اخبار البنت فوزية الشغالة . اخبرتها الام انها لا تريد أن تعترف حتى الان انها سرقت الاسورة ، رغم ما يفعلوه فيها بالقسم .. رجعت ثانية إلى غضبتها من ابيها حتى أنهت المكالمة ، إنتهت سيجارتها ، ولم تشأ اطفاءها ، بل اخذت

fb/mashro3pdf

تتملي دائرة الروج التى ارتسمت حول العُقْب ، لم تتذكر اسم الذى كان يحتفظ بأعقاب السجائر التى عليها أحمر شفاهها ، وفى يوم رآها خارجة من الكلية طلب منها ان تذهب معه إلى البيت ، رفضت ، فعلا صوته وأخذ يُذكرها بعدد أعقاب السجائر التى يحتفظ بها عنده فى علبةٍ تحت سريره . قال إن عنده لها ما يزيد على المائتين .

إنتبهتْ لرائحة المبسم وهو يحترق ، وقالت : أُف

سحقته فى المطفأة وقامت . دهمها كسل وتمنت أن تنام ، لكنها فتحت التليفزيون ، كانت ماما نجوى وبقلظ ونصائح عدم شراء الحلوى من الباعة الجائلين الذين يجلسون امام المدارس . وقفت سهام بعد ان فتحت التليفزيون ونظرت الى حركات بقلظ وكلماته وأرسلت ضحكات قصيرة متقطعة . تنبهت الى وقفتها ، فتابعته وهى تجلس . هزت رأسها متعجبة : والله العظيم !!

عندما بدأت احدى فقرات البرنامج دخلت إلى حجرة " نادية " ، جمعت ملابسها المتسخة وانتقلت الى التواليت ، فتحت الباب الدائرى للغسالة الفول اتوماتيك ، وألقت

fb/mashro3pdf

بالملابس كلهـا ، بعـد ان إسـتـثنت البلوفـر الصـوف والسوتيان الابيض . وضعت المسحوق فى دُرْجِه ، وفتحت صنبور الماء لتتأكد من قوتها . تأكدت ايضاً من ان مؤشر البـرامج على رقم أربعـة ، ثم رفـعت الزر المثـبت فـوق الحائط ، رجعت الى التليفزيون فى الصالة ، ووقفت قبالته واضعة يدها فوق خصرها لتشاهد البوبى وهو ينفض " توم " ويطرحه على الارض مرات عديدة ، ثم يحنو على ابنه بعد ذلك ، ويعد معه مائدة طعام فى خلاء الحديقة . فجأة تتحرك جيوش النمل لتهز الارض تحتهما ، وتتقدم حتى تصعد الى طاولة الطعام ، لتحمل قطعة اللحم الكبيرة وتمضي . والبوبى يقف على خلفيتيه مندهشاً فاغراً فمه .. أخذت سهام فى الضحك ، ولم تنتبه لدخول خالتها فاتن ، حتى سمعت الباب وهو يغلق ، فانتبهت لوقفتها وجلست على كرسى الانتريه جانب التليفزيون مباشرة . ونادت خالتها :-

:- طانط فيفى ، تعالى بسرعة .

إتجهت خالتها إلى التليفزيون ، ثم جلست فوق

fb/mashro3pdf

الكرسى متهالكة وقالت :-

:- الفيلم ده نادية مسجلاه .

ولم تهتم بالنظر إليه ، همهمت ان ولاد سعاد مجانين مثلها :-

:- هَدّوا حيلى ، ربنا يهد حيلهم ،

:- بِعْد الشر يا طانط ، دول زى العسل .

قالت لها الخالة :- طول النهار وانا باجرى وراهم من الاوضة دى للاوضة دى .

وتنهدت ، اخبرتها سهام انها عملت شوبينج مع امها ، نظرت خالتها بنظرة لوم

:- مش قلنا بلاش الحاجات دى يا سمسم .

لم تعرها سهام اصغاءً . بل استمرت تشاهد ماما نجوي وهى تقرأ مع بقلظ اسماء الاصدقاء .. قامت الخالة لتغير ملابسها فقالت لها سهام على سبيل المجاملة :- فيه حاجة عندك محتاجة غسيل يا توتى ؟

:- تسلمى .

اكثر من مرة ذكرتها خالتها ان تغلق التليفزيون بل

fb/mashro3pdf

وتنزع فيشة الثلاجة عندما تستعمل الغسالة . لانها تسحب كهرباء أكثر مما يحتمل العداد . وفى كل مرة سهام تنسى ، ذهبت الخالة بنفسها وجذبت فيشة الثلاجة وأخرجت الخضار من الحقيبة ، كان قلقاس وبسلة وطماطم وكيس لوبيا ولفة لحم تصل الى حوالى إثنين كيلو . ودستة " ماجى " فتحت اللفة وتطلعت إلى جودة اللحم ، حسبت ثمنها وهى سعيدة ثم خرجت لسهام وهى تحملها ، قالت :- كدة برضة يا سمسم ، كان لزومه ايه بس ؟

كانت سهام تجلس مَربَّعَةً على كرسى الانتريه ، تسوى ظفرها بالمبرد . قالت دون ان تنظر

:- عادى يا طنط ، وبعدين ماما اللى اشترت الحاجات دى مش انا .

إتجهت الخالة ناحية المطبخ

:- والله مش عارفة اقول ايه على مامتك دى ؟؟ ..

وكانت تخفى ابتسامة سعادة .. انتبهت ان سهام لم تعد تلتفت للتليفزيون ، فرجعت لتغلقه .. كانت نشرة الثانية عشر تعرض فيلما مصوراً داخل اراضى الكويت

fb/mashro3pdf

بعد التحرير . قالت الخالة:-

:- سبحانك يارب ، هي دى الكويت ؟!

وجلست تشاهد ولَفَّة اللحم فى حِجْرها ، بينما سهام لا تزال تسوى اظافرها بالمبرد ، وتقول مُعلقة :- الحرمان وِحِش يا طانط !

بعد ذلك قامت لتضع المبرد بالعلبة الصدف فوق المدفأة . ورجعت الى التليفزيون . لم تلحق ان ترى مشاهد الكويت المحررة نقلا عن شبكة CNN . فقد جاء وجه المذيع خيرى حسن ليقول ان الولايات المتحدة وبريطانيا قد تقدمتا بطلب إلى مجلس الامن يطالبان فيه العراق بتقديم معلومات كاملة عن امكانياته الكيماوية والصاروخية ، مع بيان بمواقعها وحالتها الراهنة .

إستاذنت سهام لتدخل حجرة نادية ، بينما ظَلَّت الخالة تتابع النشرة ، ثم اغلقت التليفزيون ، ألقت نظرة علي الغسالة من باب الحمام المفتوح ودخلت بعد ذلك الي المطبخ لتعد الغداء .

fb/mashro3pdf

4

كان صوت جرس التليفون يخترق نومها بين فترة واخرى ، وآلو آلو من خالتها ثم تغلق السماعة . كانت تقول لنفسها :- يمكن خالد.

وتحتضن الوسادة بين يديها وفخذيها جيداً وتستغرق في النوم . لكنها استيقظت علي نادية وهى تُغّير ملابسها بعد ان رجعت من عملها بمكتب الكمبيوتر ، رفعت ذراعيها العاريين ، وشبكت يديها وهى تتمطع . كان البلوفر والبنطلون فوق السرير ، فلم تشأ ان تقوم عارية امام نادية وانتظرت حتى تخرج .. فهى تخاف من الحسد وتشفق على نادية وجسدها الذي تهدل وتكرمشت بشرته .. كانت نادية لا تنصت إلى الحاح سهام بأن تعتنى بجسمها وتقول :- لزومه ايه يعنى .. ولا تزيل شاربها

fb/mashro3pdf

الخفيف الذى يبدو فوق شفتها ، وحاجباها لا تسويهما إلا تحت ضغط أمها ، وشعر يديها وساقيها لا تقترب منه إلا كل سنة مرة ، أما ملابسها الداخلية القليلة فقد بهتت ألوانها وبدت الخروم فى مناطق كثيرة منها .

كانت تهتم بملابسها الخارجية فقط ، وترتدى احدث التفصيلات ، وخصوصاً من التايرات ، فتبدو سيدة اعمال تدعو للاحترام .. وعندما كانت سهام تكرر عليها ان تهتم بنفسها ، تخبرها عن آخر مرة نامت فيها مع فلان ، رغم ان سهام تعرف تماماً ان نادية اصبحت تزيد من علاقاتها العابرة ، لان الرجال لا يستمرون معها طويلاً . ولانها تريد ان تثبت لنفسها انها مازالت مرغوبة من عدد لا حصر له.

:- اذا كان مراد قدر يخونى مع مراته ، انا اقدر اخونه مع ميه غيره.

قالت نادية :- قومى يا سمسم الغدا جاهز . انت مش بتشبعى نوم ؟

انتبهت سهام الى التغيير الذى طرأ على صوت نادية

fb/mashro3pdf

، فحسبت سنها ووجدت انه ستة وثلاثون ، فخفق قلبها عندما خطر لذهنها ان الفارق بينهما ست سنوات فقط.

حاولت سهام كثيراً إقناعهما ان تأكل بمفردها ، هكذا تعودت فى بيتها .. كانت امها تكاد لا تأكل وتكتفى بما تتذوقه من الطعام اثناء طهيه أما ابوها فله أكل خاص بسبب مرض القلب الذى يعانى منه . وعادل يأتى فى التاسعة مساء ، فتجهِّز له الاكل ليتعشى وهو يشاهد فيلماً يغيره من محل الفيديو يومياً ..

كانت الخالة تنتهى من طهى الطعام قرب الثانية وتنتظر قدوم نادية من عملها ، وبينما تأخذ الحمام تكون الخالة قد اعدت المائدة ، تنادى سهام التي تكون نائمة فى الغالب ، فتقوم تلبى نداءها وتبدأ معهما طقوس الغداء .

fb/mashro3pdf

5

ساعدت الخالة فى حمل الاطباق الفارغة الى المطبخ ، وجلست نادية على كرسيها بجانب المدفأة ، تحدق فى لا شيء وتدخن ثم دخلت الشرفة نادتها سهام واستأذنتها ان تأخذ سيجارة من حقيبتها ، وعندما وافقت ، اخذت سهام ثلاث سجائر ميريت وعلى عجل سرقت رقم تليفون ملقى في اسفل الحقيبة وهى تنوى الاتصال به .

خرجت نادية من الشرفة والضيق يبدو عليها . نادتها امها لتشرب الشاى ،

جلس الثلاثة امام التليفزيون يتابعن عرض الازياء من CNN ، بين فترة واخرى تعقب سهام وهى تحملق حتى تحفظ بعض التفصيلات التى تعجبها ، سَخِرَتْ الخالة مماتراه .. رن جرس التليفون .

fb/mashro3pdf

وضعت نادية السماعة جانب العِدَّة وقالت دون ان تنظر لسهام :-

:- نهى ،

تنهدت سهام باستنكار واخذت السماعة ، شَدَّتْ السلك وانتقلت بالتليفون الى حجرة نادية ، وضعته على السرير ، وجلست واضعة ساقها تحتها ، مدت يدها وجذبت منفضة تُسقط فيها رماد السيجارة . استمرت المكالمة طويلاً ، اخذتها سهام فى لَوْم نهى على انها اعطت رقم تليفون خالتها لفارس :- ليه يا نهى هو أنا ناقصة .

فأخبرتها نهى ان فارس صديقهم من زمان :- وبعدين دا مسافر كمان يومين ، ايه المشكلة انه يطمئن عليكى؟

تضررت سهام ثم شكرت نهى على اهتمامها بها . واغلقت السماعة ، تحسست ازرار الارقام فى التليفون ، فَرَدَتْ جسمها واخذت تتذكر متى عرفت هذا ال فارس ..

كان معها فى اكاديمية الفنون ... معهد النقد الفنى .

تذكر انها بعد التخرج مباشرة فاتحها أخوها عادل

fb/mashro3pdf

بأن احد اصدقائه الجيران يطلب يدها . وعندما رفضت قال لابيه الذى كان يعرف الشاب ، فحدد ميعاداً لمقابلته فى النادى ، تذكر انه كان ممتلئا ويرتدي بدلة وكرافتة . تذكر انها سخرت منه وتعمدت ان تبدو جريئة وغير مبالية بالدين والاخلاق والتقاليد ، لانها كانت تظن انه بلا تجارب ويريد فتاة بنت ناس ومؤدبة . وللمفاجأة وجدته يتصل بها ، ويريد ان يحدد ميعاد الخطبة .

فى المقابلة الثانية اخبرته بودٍّ الصديق انها مرتبطة ، وانها تثق فى ان هذا السرَّ لن يعلم به احد .. بنفس السرِّية التى اخبرته بها ، اخبر الشاب والدته . وانتقل الكلام ايضاً بنفس الاهتمام الذى يبدو على الوجه عند الحديث فى خصوصيات ينبغى كتمانها . . عندما اخبرت والدته والدة سهام . التى سمعت الكلام وانتظرت ان خرجت المرأة ، ودخلت على ابنتها تلطم وتشق قميص نومها .. بدا لسهام ان الانكار هو أسلم الطرق ، فأنكرت حتى النهاية ، وقالت ان هذا الكلام من تأليف الولد لانه لا يجد مبرراً كافيا لرفضه ، فأراد ان ينال منها ، لم تصدق

fb/mashro3pdf

الام ، واعلمت عادل بأن اخته مرتبطةً بشاب آخر لعله يجد حلاً . ورغم ان عادل يصغرها بسنتين ، إلا أنه رجل ، له تجهم الرجل وسطوة الرجل . وقدرة الرجل على حَلِّ كثير من الامور بحزم وبإجراءات قليلة .

قال عادل لسهام بهدوء انه لن يقول لابيها ، ولن يجبرها على الزواج بمن لا تريد . ولكن بشرط واحد .. أنها اذا كانت مرتبطة بالفعل ، فعليها أن تجبر هذا الشخص ان يتقدم بسرعة ، لانه كلما طالت فترة الارتباط دون زواج كلما رخصت البنت فى نظر من ترتبط به ..

فى جلسة واحدة وصل إلى سهام تهديد ونصيحة وتشكيك فى نوايا خالد تجاه المستقبل ، كانت هذه هى الفترة التى دهمها الصداع الدائم ولم تستطع معالجته بالاسبرين ، لانها كانت لا تحب طعم المرارة لانواع الاسبرين المختلفة . لذلك وصف لها خالد الابتاليدون ، فهو مُغَلَّف بطبقة ناعمة وحلو المذاق .. وطلب منها ان تهدأ ، فهناك شقة معروضة للبيع في العاشر من رمضان ، وهو يحاول ان يدبر ثمنها ، وحينما عرفت ان المبلغ

fb/mashro3pdf

المطلوب ثلاثون ألف جنيه ، وان خالد ليس معه سوى ألفين فقط . فقد قررت ان تسرق ذهب امها وتأخذ ذهبها وتبيعه أيضاً . لتسدد ثمن الشقة التى اعجبتها عندما رأتها ، وخصوصاً انها كانت جاهزة وعلي المفتاح .

فى الصباح اعلنت انها لا تجد ذهبها ، وفى الحال عرفت الام ان علبة مجوهراتها ايضا خالية تماماً .. انزعج الاب . ونادى البواب ، أبلغ الشرطة . فتشوا المكان . وتأكدوا ان لا شيء ناقص فى الشقة غير الذهب . استمرت المعاينة واستحضار الاب كل فترة للاطلاع على بعض المسروقات من المشغولات الذهبية ، عسى ان يكون ذهب الزوجة والابنه بينه ... ونشرت جريدة حزبية خبر سرقة ذهب زوجة عضو من اعضاء مجلس قيادة الثورة .. وبالطبع كان من صالح الجريدة وكذلك العائلة ان تُقَدَّر قيمة الذهب المسروق بأضعاف ثمنه الحقيقي..

احتفظت الام بالخبر وسط حاجياتها ، وقد خفف عنها قليلاً حزنها على الذهب الذى راح . واحتفظ الاب كذلك بنسخ عديدة من الخبر رغم عبارات الاستهجان التى كان

fb/mashro3pdf

يمتلىء بها عن الثورة ورجالها ، وكمية الذهب الذى يحتفظ به واحد منهم رغم انه على المعاش منذ مدة طويلة .. اعتبر الاب هذا الخبر على كل حال تذكير لاولاد الكلاب الذين ينسون التاريخ الذى صنعه هو ورفاقه ، لان الثورة للاسف ، قامت من اجل شعب يأكل وينسى .

وحدها سهام في هذه الفترة لم تكن سعيدة او حزينة . كانت تفكر فى جدوى ما فعلت . وتسأل نفسها هل هو صحيح ؟ وما هى احتمالات ضياع الشقة التى كتبت عقدها باسم خالد حتى لا يحس انها صاحبة فضل عليه. . ولم تجد اجابة على هواجسها سوى الابتاليدون والنوم

وسط هذه الدوامة فاتحتها نهى بالتقدم لامتحانات القبول لاكاديمية الفنون ، ولم تكن سهام فى هذا الوقت قادرة على اتخاذ اى قرار . بل كانت مستسلمة لحالة من الذهول واليأس ، تلك الحالة التى جعلتها كثيرة النوم ، ولا تنتظر أن تدخل التواليت لتدخن ، بل تنتظر خروج والدها فى الصباح وتدخن بجنون في أى منطقة من الشقة غير عابئة بأمها التى كانت تراها فى البداية وتعنفها ، ثم

fb/mashro3pdf

صمتت بعد ذلك .

في هذا الوقت انصاعت بلا رغبة حقيقية لالحاح نهى ومصاحبتها في امتحانات القبول . كانت تنوى أن تغير هذه الحالة التى تجعلها راغبة في البكاء بلا انقطاع ، وتمنت ان تتجدد حياتها ولو بشكل مؤقت . وحينما نجحت في امتحانات القبول ، وجدت ان الالتحاق بالاكاديمية فرصة للهروب من البيت ومشاكله ، وحُجَة رائعة لتوفير الوقت اسبوعيا . حيث يمكن ان تخرج لمقابلة خالد ، دون إجهاد الذهن فى كل مرة بحثاً عن التبريرات .

fb/mashro3pdf

6

فى الاكاديمية استعادت سهام علاقتها القوية بنهى التى كانت زميلتها فى الابتدائى ، وفي الاكاديمية ايضاً عرفت اشرف ذا الوجه الطفولى ، وعرفت وجيه المحامى الذى تعدى الاربعين ولا يزال حبه للتمثيل يغلب عليه ، فيلتحق بالمعهد ليحقق حلمه بعد ان نَفَّذ كلام والديه ، ودخل كلية الحقوق ، وتخرج منها ، وفتح مكتبا للمحاماة .إلا انه افاق الى نفسه بعد ذلك على انه لا شىء . وفي الاكاديمية عرفت مصطفى ونوال وقصة حبهما الممتدة والتى من المستحيل اكمالها ، لان نوال مسيحية ، بل ومتدينة ايضاً .

كانت هذه هى صُحْبَتها التى تجتمع بعد المحاضرات فى "البورجولا" ، تغنى وتتبادل النكات . ثم يقومون الى

fb/mashro3pdf

محل بيتزا فى الدقى ، بالطبع كان هناك آخرون غير هذه الصحبة التي تجانست ، لكنهم كانوا إما طبيباً معتزاً بنفسه ويمسك ال " Pipe " المشتعل دوماً ، أو زوجة سيناريست تحاول ان تقترب قليلاً من عالم زوجها ، او مدرس ريفى يحاول كتابة القصة ، كان هناك كثيرون يحضرون المحاضرات ، ثم يغادرون الاكاديمية بعدها مباشرة .. و كان فارس منهم ، شاباً لا مبالياً ، يجلس دوماً فى مؤخرة قاعة المحاضرات ويقرأ الجرائد اثناء إلقاء الدكتور ، ورغم ذلك اذا حدثت مناقشة كان يتدخل . وبعد المحاضرة يسخر من الكلام الفارغ الذى يدرسونه ، ويؤنب نفسه علي انه إلتحق بهذا المكان .. بعد شهرين من الحضور تَغَيَّبَ فارس تماماً ، واستمر غيابه حتى اوشك نصف السنة علي الانتهاء ، اكتشف الطلبة الذين بدأوا يتجانسون ان هناك طالباً معهم اسمه فارس لم يعد يحضر . تساءلوا عن كيفية الوصول إليه للاطمئنان، لكنه لم يكن قد صادق أحداً في مدة الشهرين التى قضاهما بينهم . اقترحت سهام ان يعرفوا عنوانه من ملفه فى

fb/mashro3pdf

شئون الطلبة ، وبالفعل تم ذلك ، وتبرع مصطفى ان يذهب إليه ، لانه يعرف منطقة الدراسة والحسين التى عرفوا ان فارساً يسكن فيها .

وعندما عثر عليه مصطفى ، وعرف أنه قرر ألا يكمل الدراسة ، صارحه مصطفى انهم جميعاً خذلوا في المواد الدراسية التى يتلقونها ، لكن الصحبة الجميلة هى التي تجعلهم يستمرون ، تأكد مصطفى ان فارس سوف يأتى الاثنين القادم ليحضر المحاضرات ، وعندما أتى صافحه الجميع وابدوا لومهم ، وخصوصاً سهام .

بعد المحاضرات هَمَّ فارس ان يمضى ، فعرضت عليه سهام ان يجلس معهم في " البورجولا " .. هناك بدا صامتاً طوال الوقت ، ومُحْرَجَاً ، دون ان يدرى أحد انه كان يخجل من ملابسه التي يشتريها من فوق الاقفاص فى الموسكى ، بينما يرى أمامه التايرات والبدلات وروائح البارفان الرجالى والحريمى المنتشرة ، وبنطلونات الجينز ماركة " إيزى " التى يحلم بشراء واحد منها .

كان يحس ان هذا العالم ليس عالمه على الاطلاق ،

fb/mashro3pdf

لذلك كان طافياً بفكره خارج الجلسة بنكاتها واغنياتها .. عند الرحيل قرروا أكل " البيتزا " لم يوافق فارس لاسباب عديدة . لكن اشرف أنقذه ، وقرر أنه اليوم معزوم بمناسبة انها المرة الاولى التى يذهب فيها معهم .

في الطريق الى شارع الهرم كانت الجماعة الكبيرة تمشى في الغالب إما كل اثنين معاً او ثلاثة .. مشى فارس وحيداً ، ثم مشى معه مصطفى وسهام ، وذهب بعد ذلك مصطفى الى نوال ، فوجدت سهام نفسها مع فارس .. كان شروده الدائم قد لَفَتَ إنتباهها ، وكانت تعتقد ان الشرود الصفة الاساسية للفنان .

تحدثت معه في امور كثيرة ، عرفت انه خريج كليه آداب ، وعرفته انها خريجة كلية التجارة . وانها جالسة في البيت تنتظر ابن الحلال .. أخبرها انه يعمل فى الصحافة ، في جريدة اسبوعية درجة ثالثة ، ويحرر بعض الموضوعات ويرسلها الى الصحف العربية..

كانت سهام قد تعودت من الذين تمشى معهم ان يستعرض الواحد منهم اهميته . ويحاصرها بالاسئلة عن

fb/mashro3pdf

حياتها الخاصة . ولكن فارس بدا يتعمد الإستخفاف بعمله ، بل وبنفسه ، ولا يهمه معرفة اى جانب من جوانب حياتها ، كانت اذا لم تحدثه يركن الى الصمت ، وإرسال " آهة " كسولة بين الحين والاخر ..

اخذت منه وعداً ان يستمر معهم فى الاكاديمية ، واعطته رقم تليفونها ، واخبرته انه عندما يتصل لا يتكلم إلا إذا ردت بنفسها ، أما اذا ردت امها أو أي صوت آخر ، فيغلق السماعة ، ثم أخذت رقم تليفون المقهي المجاور له :-

:-علشان لما تهرب مننا مرة ثانية نعرف نجيبك ..

قالت سهام ، واتصلت به في نفس الليلة ، ولم يغلقا السماعة إلا عندما رأت نور الصالة يُضَاء ، وخيال والدها يمتد فوق مستطيل الضوء الذي يفترش سجادة حجرة نومها المفتوحة دائماً .

في المكالمة الثانية طلبت منه ان يتصل بين العاشرة صباحاً والواحدة ظهراً . فوالدها فى هذه الفترة يكون فى نادى الجزيرة ، يجلس مع اصدقائه المحالين للمعاش

fb/mashro3pdf

، ويدخن السجائر الممنوعة عنه فى البيت بأمر الطبيب .. إلا أن فارس لم يتصل فى اليوم المحدد ، فاتصلت هى ، واعلنت له غضبها ، وطالبته بالاتصال وانذرته انها لن تتصل اذا لم يبادر .. غير أنها انتظرت طيلة الاسبوع وهى منشغلة البال به ، حتى جاء يوم الاثنين ، وتقابلا فى قاعة المحاضرات ،وجسدها ينتفض من لامبالاته ، وهو يلقى السلام على جميع الحاضرين ، دون أن يخصها حتى بنظرة .

fb/mashro3pdf

7

منذ هذه اللحظة بدأ اهتمامها بفارس ، ليس لذاته ، ولكن لتتأكد أنها مرغوبة من الجميع ، سواء باعترافاتهم أو بنظراتهم ، ومنذ هذه اللحظة قررت ان توقعه ، بَلَعَتْ اهانتها وعدم مصافحته لها ، وعندما نزل الجميع الى "البورجولا" فاتحته فى أمر رحلةٍ اتفقوا عليها ليتقابلوا فى اجازة نصف السنة ، رفض ، فقالت ان له هدية عندها اذا ذهب معهم . ابتسم ولم ينطق ، قالت له بسرعة ولهوجة :-

:- مافيش حد قالك إن دمك تقيل ؟

نظر اليها ليتاكد مما إذا كانت كلماتها تعبر عن غيظ ام مداعبة . وجدها تنظر اليه بوجه مغتاظ وباسم ، فاكملت

fb/mashro3pdf

:- بس أنا بحب اللى دمهم تقيل .

تَطَلَّعَ الي وجهها ، كانت تلك هي المرة الاولى التى يُحَدِّقُ فيها . كانت جميلة حقاً . وجهها مستدير ، ضاحك ، بض ، شفتان مكتنزتان ، وخصوصاً السفلى الذى يحيلها الروج الثقيل الي مجمرة ، عيناها واسعتان سوداوان ، تزيد اتساعهما بالكحل الذى تَمُد خَطَّهُ حتى ما بعد العين ، وبشرتها ناصعة ، أما شعرها ، فأسود طويل وثقيل ، له قُصَه بطول الجبهة ، كان يحار فى سنها الحقيقى ، فالمكياج الثقيل يجعلها تأخذ سمت المرأة ، وقُصَة شعرها وانهماره خلف ظهرها يعطيها طابع الطفولة ، استمرت عيناه تتمليانها ، وللمفاجأة ظَلَّتْ عيناها تنظر فى وجهه مباشرة وهى تبتسم . لم تخجل أو تخفض نظرها ، أحس ان نظراته قد طالت ، لكنه أَصَرَّ ألا يخفض بصره إلا بعدها . لكنها لم تفعل . وطالت النظرة ، حتى امتثل وأدار بصره إلى نهى التى كانت تكتب اسماء من يدفعون لها نقود الرحلة .. بعد لحظات قالت سهام :-

fb/mashro3pdf

:- فارس ، انت رحت فين ؟

نظر اليها مترددا وقال :- ابداً .

قالت :- لازم تقول لى ، يمكن احب أروح معاك .

كانت تقتحمه بشكل سافر . إلا انه لاسبابه الخاصة كان يحاول الهروب .

وعندما كانا يأكلان " البيتزا " سألته ان كان مرتبطاً ، فقال :- لا .

اخبرته انها مرتبطة ، وانها بعد سنة على الاكثر ستكون متزوجة ، فاندهش ، ولم يعرف لماذا إذن تشلير اشارات لا يحتاج تفسيرها لأي جهد ..

فى صباح يوم الرحلة أحضرت سهام معها قطعتى شيكولاتة " كادبورى " كبيرة ، وقالت له

:- مش هاديلك الشيكولاتة إلا لما تعتذر لى عن عدم اتصالك .

فاعتذر وابدى رغبته ان تجلس بجانبه فى الاتوبيس . اعطته الشيكولاته وهى تقول :-

:- اكتر حاجة بحبها ..

fb/mashro3pdf

فتحها ، ووجد رسالة صغيرة وردية ، قرأها ولم يعلق ، وهى لم تطلب . وانما فتحت الشيكولاتة وأكلت . فعل مثلها ، وعندما بلغ المنتصف ، طلبت منه ان يأخذ قطعتها ويعطيها قطعته ، ابتسم للفكرة ، وذكَّر نفسه جيداً انها مرتبطة . وباعد الظنون عن رأسه . طلب منها ان تنتظر لان قطعتها اكبر وهذا ظلم لها .

أصَرَّتْ بإلحاح طفولى . فأخذ قطعتها ، ولاحظ أثر " الروج " علي حواف قطعة الشيكولاتة قبل ان يأكلها . اما هى فكانت تتابع نظراته ، وتحاول ان تقرأ داخله المغلق ،

فى بداية الرحلة كان التجمع يغلب ، ولكن بعد أن لعبوا وتمشوا وتعبوا وتغدوا بدأت الثنائيات تتضح ، ولم يكن فارس يعرف أحداً معرفة جيدة غير سهام .

وها هى يختلى بها اشرف .. أحس بضغينه ، وذهب اليهما ، ساعدته سهام ، فانفصلا عن الجميع وتوجها إلى حافة الشاطىء ، وجلسا ، أحسا بملابسهما تبتل وهما يجلسان فوق الرمل الطرى ، استمرا فى الجلسة اكثر من ثلاث ساعات ، بكت خلالها سهام وهى تحكي له عن امها

fb/mashro3pdf

الحزينة دوماً . وأبيها الظالم ، وخالد الذى عرفته من ثانية كلية ، اخبرته عن حبها للون الاسود ، وعشقها للمغامرة ، سردت ما فعلته مع صديقاتها البنات . وكيف عرفت شباناً كثيرين ، كان أولهم جار لها . كان يحب زميلتها فى المدرسة . ولانهما كانتا تمشيان سوياً ، فقد انتقل اهتمامه إلى سهام ، وظلت علاقتهما إلى ان دخلت الجامعة وسافر هو الى كندا . من اجلها كما قال لها . طلب منها ان تنتظر واعطاها تذكارا حتى لا تنساه . تعرفت بعد كثيرين على خالد .....

كانت تحضر عرضاً مسرحياً هو بطله .. بعد العرض عرفت انه من نفس دفعتها ، وتأكدت صلتهما بعد ذلك ، واطلعها على عالم الفن . كان يشترك في فرقة التمثيل بالكلية ، احبته واحبها واستمرا معاً ، رغم انها تعلم أن أباها لن يوافق عليه نظراً لاختلاف المستويات .

قالت كل شيء حتى بدا البحر عند الافق وكأنه يحمل قرص الشمس فوقه . كان المشهد جميلاً ، فأعطت ظهرها للبحر وطلبت من فارس ان يصورها . فقام وصورها

fb/mashro3pdf

بحيث جعلها تجلس بجنبها ليبدو وجهها في مواجهة قرص الشمس ، ثم طلب بتردد ان يتصور معها ان أمكن، فنادت علي نهى وطلبت منها ان تصورهما . فبدا للجماعة أن سهام لفارس ، دون أن يتحدث أحد فى هذا الامر مع آخر .

علم فارس بعد ذلك ادمانها لحبوب الابتاليدون ، فكان يفتح حقيبتها بحجة حب الاستطلاع ليجد الحبوب متناثرة فى زواياها ، كان يكتفى فى البداية بأخذها ولوم سهام ، ثم بعد ذلك بتهديدها انها ستصبح مدمنة حقيقية لو استمرت، حذرها بأنه لن يعرفها ، لكنها واصلت ، وتشاجرا، وتخاصما ، وتصالحا عندما وعدته انها ستحاول، بعد فترة فتح حقيبتها ، كانت تبدو نظيفة ، فتح الجيوب الصغيرة وحافظة نقودها ، كانت تحتفظ بالحبوب فى قاعدة علبة البودرة ، حينما وجدها نظرت إليه فى انكسار .. أحس ان هناك قوى ما تتحكم فيها ، فقذف بعلبة البودرة فى وجهها ، إنتثر اللون البمبى تحت قدميها. وظلت العلبة تدور الى الامام ثم حول نفسها

fb/mashro3pdf

وخمدت في صوت يشدخ صمتهما الذى طال ، قال لها وهو يجز علي اسنانه بنبرة صوته المعدنية :

:- لو شفت الحبوب دى تانى هاضربك .

فتعودت ان تضع الحبوب في ورقة تخفيها فى صدرها ، لم تقل له ان الحبوب فى شَقَّتِنَا مُلقاةً فوق التسريحة ، والشرائط الفارغة والممتلئة فوق الكوميدينو ، ولم تقل ان أباها حينما يأتيه الصداع يطلب منها ان تعطيه قرصاً . وهو يعلم ان هذه الحبوب تجلب الادمان .

fb/mashro3pdf

8

بعد أن شاهدت سهام فيلم Butty Woman ، اغلقت الفيديو، تطلعت إلى الساعة ، كانت الخامسة ، قررت ان تُغَير ملابسها وتنزل الى النادى ، حتى تهرب من ملاحقة فارس في التليفون ، وعندما كانت واقفة امام مرآة التسريحة في حجرة نادية وتزرر البلوزة البيضاء، تساءلت :- لماذا لم يتصل بها حتي الان رغم انه اخذ رقم التليفون من الامس كما تقول نهى .. قالت ان هذه عادته وتذكرت انها كانت احيانا تخاف منه وتظنه مجنونا، عندما كان يشير اليها ان شخصاً ما هناك يراقبه، ويحدق فى عينيه . وضعت يديها على خديها واغمضت عينيها وهى تقول :- ياربى ، وأدخلت البلوزة في الجوب الاسود ، فَرَدَتْ الشال ذا الازهار المتداخلة على كتفيها

fb/mashro3pdf

وعقدت طرفيه من ناحيةكتفها الايسر، رفعت شعرها الطويل فوقه ، وهَمَّتْ بتسريحه، تتبعت الشعرات البيضاء، وفركَتْ بين اصابعها الشعرات التى سقطت ودخلت في اسنان المشط . خرجت إلى نادية تعرض عليها ان تخرج معها ، لكنها لم توافق .

تمنت ان يتصل خالد لتعرض عليه ان يستأذن من المكتب ويقابلها عند باب النادى ، جلَسَتْ تتصفح الجريدة التى أحضرتها نادية ،

رن جرس التليفون فانتفضت نحوه . وضعت يدها علي سماعة التليفون وترددت قليلاً ، استمر الرنين ، فقالت الخالة :- يووه .

رَفَعَتْ السماعة ، وازاحت شعرها عن وجهها قبل ان ترد . جاء صوته المُرْهَق ، عرفته من مساء الخير البطيئة الملولة ، قَرَرتْ ان تتحدث معه بفتور ، سألته عن اخباره ، وشكرته علي سؤاله ، طلب منها ان تدخل بالتليفون إلى الحمام كما كانت تفعل معه قديماً فى بيتها عندما لا تريد من أحد ان يسمعها ، قالت له ان يتكلم ، لا توجد

fb/mashro3pdf

مشكلة، لكنه ألح ، طلبت منه ان ينتظر حتى تنقل التليفون، وحملته الى حجرها بعد ان جلست على الانتريه. اوهمته أنها دخلت التواليت الان . فسألها عما حدث لها فى البيت ، لم تشأ ان تخبره بشيء ،

قالت فى ضيق : – ظروف

طلب ان يعرفها ، قالت ان التليفون لن ينفع ، فانتهزها فرصة ، وابدى رغبته فى ان يراها بالخارج . قالت :– مش ها ينفع .

وبعد فترة طويلة من إلحاحه ، قَبِلَتْ المغامرة ، على شرط ان يكون اللقاء سريعاً ، لان العين عليها هذه الايام. وتخاف ان تتزايد مشاكلها ، انهت معه المكالمة ، ثم دخلت الى التسريحة ، وقفت امام مرآتها تمشط شعرها ، لثوان قليلة ترددت فى الذهاب ، لكنها عندما تذكرت انها بذلك تخون خالد ، وضعت المشط بعنف فوق التسريحة ، ونظرت في المرآة الى عينيها بقوة كأنها تتحداه . احضرت حقيبة المكياج ، لمسات قليلة حتى تورد وجهها ، تأكدت من أصبع الروج ، وعلبة البودرة فى حقيبتها ، ولم

fb/mashro3pdf

تبقِ معها من نقود إلا أجرة التاكسى ، خلعت الخاتمين من يدها وقبل ان تغادر عتبه باب الحجرة ، تذكرت حرف الS المعلق فى رقبتها ، لكنها لم تخلعه ، سألت الخالة إن كانوا يريدون شيئاً ؟ سألتها عمتها الي اين ؟ فقالت :-

:- ساعة عند " مارينال " وراجعة عى طول ؟

:- مش دى البنت المطلقة اللى فاتحة اتيليه في سفنكس ؟

أومأت سهام موافقة ، ومضت قبل ان تلاحظ خالتها ال Full Make up .

fb/mashro3pdf

9

لم تحس بالرجفة العابرة التى اجتاحته عندما تصافحا ، وبعدما أقنعها ان يذهبا سوياً إلى حيث يقيم ، جلست على الكرسى المحفور علي مسنده اسم قهوة المعلم محروس . كان يفرك يديه فى بعضهما وهو ينظر اليها في ابتسام ساذج . قال :- اهلا .

فقالت :- اتغيرت .

كانت تقصد إنحناءة ظهره البادية ، ووجهه الذى كان لا يخلو من سمت الفنان ، أصبح جامداً لا يحمل من شروده إلا الذقن النابتة . أحَسَّتْ للحظات ان هذا المكان الذي دخلته مراراً منذ سنوات اصبح اكثر قذارة ، ورائحته لا تطاق . كانت تخاف ان يفاجئها فأرٌ أو ثعبان ، كتمت " ياى " قبل أن تنفلت حينما طاف الثعبان

fb/mashro3pdf

بخاطرها . ولكن توترها قد تم ملاحظته ، فابتسمَتْ لهذا الوجه الغريب الذى زال عنه الشرود ، لتحل محله البلاهة والتجاعيد .

كان فارس قد اشترى ربع براندى قبل ان تأتى وشرب منها حتى أحس بأذنيه ملتهبتين ، وشرود طاغ يجتاحه . فظل يبحث طويلاً على رد مناسب ، الى ان قال بابتسامة تتدلي ، وفركة زائدة من يده .

:- لا شيء تغير .

كان يقصد ان النقود التى اصبحت تجرى فى يده ، وملابسه النظيفة ، وحقيبته المغلقة على هداياه للجميع ، لم تغير حنينه الدافق لها ، ورفضه ايضاً . كان يقصد ان ابتعاده عن بلده وناسه وجلسُة ابيه عند جدار المراحيض فى موقف الدراسة قد زاد من عزمه على ان يكون شيئاً غير هذا الفقير المعدم ، وقد استطاع . لكنه للاسف ، لم يتغير احساسه الدائم انه دون الناس ، واقل من أن يرفع عينه فى شرطي مرور حتى .

كانت ساقاها مضمومتين ومرتفعتين لعلو كعب الحذاء

fb/mashro3pdf

الاسود . هزتهما عندما قالت :-

:- تغيرت . .

كانت قد تذكرت انه فى اول مقابلة معه في هذا المكان . فور قدومها جلس بين كتبه الملقاه هنا وهناك . واشعل سيجارته بتؤدة وأخذ يدخن ، وكأنه لم يُقْدِمْ على مغامرة اتيانها ، رغم احتمال قدوم أحد من عائلته فى أي وقت . أما الآن فهو جالس امامها على المقعد يفرك يديه كأنه مُمْتن على قدومها . ولا يدرى ماذا يفعل لها . من كثرة ما يصطرع فى ذهنه من توقعات .

:- لا شى تغير .

همس بها وهو خجل من حجرته التي مازالت الرطوبة تضربها وتتلف كتبه التى كانت ، وتُسْكِن والده بالربو قبل ان يذهب إلى مدينة السلام مشلولا ايضاً .

:- تغيرت .

قالت . وكانت تعنى انه قد ترك الشعر للابد . لكى يعمل في سوق الصحافة كأى مغامر قادر علي اللعب بالبيضة والحجر ، وكأي شاب رياضى لديه اللياقة البدنية

fb/mashro3pdf

التى تتيح له الجري وراء الاخبار ، والصبر على مصادره ، واصبحت عبارة " فارس عبد الدايم أمير الشعراء " المكتوبة على الباب بايخة ، وخالية من أى معنى .

:- لا شيء تغير .

قالها وهو يستنشق هَبْو العرق المتصاعد من ملابسه ، وكان قد تحايل علي ذلك بفتح علبة دانهيل . هذا البرفان غالى الثمن ، الذى قالوا عنه في الغربة انه مهيج جنسياً للانثى . وقد صدقهم واشترى ثلاث زجاجات ، لم يبق منها غير هذه الزجاجة التي قد اتي بها الى علاء . ها هو عبقه يتوارى أمام عرقه المتصاعد الذى يحرجه.

تمايل جذعه وهو يقوم ليحضر علبة الكليوباترا، ومشط كبريت ماركة النيل، اعطاها سيجارة ، وبعود واحد اشعل السيجارتين . تذكرت ان المرات القديمة كانا يشعلان سيجارة واحدة تظل حيرى من فمها إلى فمه. تأسف لها عن قذارة المكان ، فلم تبد اهتماماً ، وقالت له: هه ؟

ثم اضافت :- ماذا كنت تفعل هناك ؟

لم يكن يريد أن يروي ، بل كان البول يعتصر مثانته ،

fb/mashro3pdf

فأخذ يذكرها بأيامهما معاً ، حتى تبددت الذكريات من رأسه ، فأستأذنها وفتح باب الحمام المبتل من الرطوبة ، لم يواربه ، وتبول واقفاً .

كانت سهام تسمع صوت الماء المتساقط على البلاطات، وتنفى من ذهنها انه يتبول، نظرت فى ساعتها، وعندما دخل ،

قالت له :- امشى بقى .

طلب منها ان تجلس ، لكنها قامت وهَمَّتْ بالرحيل ، اخبرها انه طلب لقاءها كى تحكى عن اخبارها ، لكنها وافقت ان تجلس بشرط ألا تحكي شيئاً . كان يعرف ان اباها كالعادة يفرض عليها عريساً جديداً ، وهى بالطبع تنتظر خالد .. سألها عنه عندما تذكره ، فاغرورقت عيناها بالدموع ، وبدت اكثر جمالاً . لكنها ظَلَّتْ صامتة، مَدَّ جذعه إليها وجلس على حافة كرسيه . أمسك يدها حاولت ان تفلتها ، لكنه عندما أحس ليونتها إستنفر . تذكر انه لم يلمس امرأة منذ سفره . اخبرها فقالت :- ياه !! .

fb/mashro3pdf

شجعه هذا ، واقترب بكرسيه منها . قالت له :- مش ها اقدر .

فقال انه يحبها ، قالت :- وخالد ..

عيناها فى مواجهته ، وصدرها بين ذراعيه . أخلى يديه منها ، واشعل سيجارة اخري .

كرر عليها أنه يحبها ، صارحته انه فى الحقيقة يريد أي واحدة لينام معها . ولا يريدها هى ، فاجأته صراحتها ، فوضع ساقا فوق أخري ، وحدَّق في خيوط العنكبوت الكثيفة بالسقف . مَرَّتْ لحظات طويلة ، جال بذهنها انها لم تعد تصلح إلا للنوم . فلماذا تتمنع وتتظاهر بالشرف . هان جسدها عليها . وقالت انها لم تعد تصلح لشيء . قامت بعصبية ، خلعت عنها الشال والبلوزة البيضاء وافلتت ساقيها من الچوب السوداء فبدت في قميص نومها فقط . وقالت له

:- انا جاهزة يا فارس ، اعمل اللى انت جايبنى علشانه .

كان كل شيء في داخله يهتف به أن لا . بل ان عضوه

fb/mashro3pdf

لم يعد منتصباً . لكنه قال لنفسه :- فرصة .

قام وطوق خصرها وذهب بها الي المرتبة . استلقت ، سألها ان تشرب معه ، فأومأت برأسها ، أحضر الزجاجة والكوب الوحيد ، صَبَّ الخمر وهو ينظر اليها بينما حواسه تستيقظ شيئاً فشيئاً .

fb/mashro3pdf

10

أولجت المفتاح في الباب وفتحته بهدوء . كان الوقت يقترب من منتصف الليل ، وتظن أنهما نائمتان ، فلا ينبغى ايقاظهما ، لكنها ما إن وقعت عيناها علي الداخل، حتى وجدت أباها وامها جالسين في الانتريه . اغلقت الباب ، فدخلت الخالة من الشرفة ، واغلقت بابها الزجاجى ، قالت :-

:- إتاخرتي ليه يا سهام ؟

جاءت نادية من المطبخ وفي يدها صينية الشاى ، وقالت تداري التأخير :-

:- هى كدة لما تروح عند مارينال ، بتنسى نفسها

كأنها لم تسمع شيئاً خلعت حذاءها بجانب الباب ، وضمت حقيبتها على صدرها حتى لا تظهر كسرات

fb/mashro3pdf

البلوزة . قالت :- مساء الخير ، وهمت بالدخول الى حجرة نادية ، شخط الاب :-

:- كنت فين يا ست هانم ؟

:- زى ما نادية قالت لك . عند مارينال .

صرخ بعنف بأنه اتصل بمارينال ولم يجدها .. دخلت الحجرة ولم تعلق ، كانت الام تهدئه والخالة تذكره بمرضه. وان هذا ضد صحته .. كانت دقات قلبها تتصاعد وهى تسمع صرخاته في الخارج . تعلم ان هذا الغضب الكاسح يعقبه دوماً اغماءة ، ودكتور وأشياء لا يسعفهم فيها سوى عادل ، ورغم انها تمنت موته في أوقات كثيرة إلا أنها وقت الازمة تخاف ، وتنهمر دموعها دون ان تدري ..

كان يشتمها من الخارج ويقول لها ان تمضي امامه ، وهى تجلس فى حجرة نادية وتبكى فقط ، ابتلعت قرصين " ابتاليدون " دون ماء وتمنت أن تدخن . حاولت أن تمحو آثار المكياج . دخلت عليها امها وقالت :-

:- ياللا يا سهام علشان خاطرى . اخزى الشيطان

fb/mashro3pdf

ابوكى مش شايف اللي قدامه .

كان الباب مفتوحاً ، وسمعها ابوها وهى تقول لا .. فسب دينها ودين الخول اللى كانت عنده ، قامت امها تربت علي كتفها أن هيا ، فصدتها سهام وقالت لا . وحُمَّى الخمر تدفعها لما تتمناه ، وقالت مرة اخرى : لا .

فكَّتْ ازرار بلوزتها ، وخلعتها ، أفلتت عن جسدها الجوب ، وذهبت لتأتي بقميص النوم ، رآها ابوها وهى تعبر . فهرول واقتحم الحجرة وانهال عليها لطماً وامسكها من شعرها وهو يقسم ان يفضحها امام الناس، تدخلت الخالة ، واستماتت الام على يديه حتى يتركها ، لكنه كان متشنجاً ، تصلبت يداه على شعرها الذى تمزق بين اصابعه ، وهو يقسم لهم انه يشُم في ملابسها رائحة رجل . وصرخ يسبها ، ويجرها من شعرها وهى تلطم وتصرخ . وامها تحاول ان تَرْبت على صدره تهدئه . والخالة تمسكه من كتفه :- صحتك .. وكانت نادية فى الخارج تحاول ان تتأكد من غلق النوافذ حتى لا يجذب صوته الجيران . استمر يجرها من شعرها وقميصها

fb/mashro3pdf

حتي عَبَرَ الطرقة إلي الصالة ، وحينما حاول ان يفتح باب الشقة ، افلتت من يديه ، لكنه جري وراءها وأمسكها من قميصها الذي تمزق ، وبأن جسدها منه . حتي صدرها الذي كان يختفى وراء السوتيان قد ظهر بعد ان انزاح عنه ، ووقعت علي الارض الورقة التى بها حبوب الابتاليدون .. جَرَّهَا الى الباب ، وعند عتبة السلم ، حاولت ان لا تخرج ، واستمسكت باطار الباب . كان الجيران قد فتحوا الابواب وتطوع بعضهم فحاول افلاتها من يده بصعوبة وهو يكرر عليه :-

:- يا افندم عيب .. يا افندم عيب . عيب والله الى حضرتك بتعمله ده .

ما ان افلتت سهام مشعثة الشعر وتكاد أن تكون عارية تماما ، حتي جرت وقالت له:-

:- انت فاكر نفسك لما تعمل كده هاتبقى راجل .

ثم همهمت ، وهى تجرى نحو المطبخ :

:- ودينى لأخليكم تندموا ، ودينى .

فتحت الدرج في لهوجة ، وبسكين المطبخ الكبيرة حَزَّتْ شرايين يديها ثم صرخت ، وصرخت .....

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

السبت ٩ مارس ١٩٩١

Saturday 9 March 1991

fb/mashro3pdf

فارس

fb/mashro3pdf

1

وحدَك، فوق المرتبة المهترئة ، حولك تتناثر اعقاب السجائر، ساعتكَ، جواز سفرك ، جوربك الابيَض الذى اسودَّ ، هداياك وحاجياتك التى طفحت بها الحقيبة . تتذكر أن عليك العودة بها كما جئت ، تشعل من سيجارتك واحدة أخرى ، وتعتزم الهروب من التفكير فى الله والناس والمكتوب . تتمني أن تمسك ورقة وقلماً وتحصى عدد من احببت وخذلوك . تنهض فتهبُّ عليك رائحة عرقك المستقرة بجلدك وملابسك .. تحاول التغلب عليها بمزيل رائحة العرق والبارفان غالى الثمن الذى كنت قد أتيت به لعلاء .. تتذكر أنك لم تستحم منذ وصولك ، ولم تغير ملابسك الداخلية . حتي ذقنك لم تحلقها ، فتبدو طويلة كالشوك ، تخترق جلدك وتهرشها من وقت

fb/mashro3pdf

لآخر .. حتى افترشتها حبوب صغيرة حمراء . ترغب فى النوم ، لكنك لا تستطيع .. فتبلل كفك بلعابك ، تخرجه من بنطلونك، تدلكه .. مستعيداً ما كنت تراه فى أفلام الغربة .. بلا شهوة أو رغبة تقذف سريعاً ، وتتنهد من الغور . تظن بعدها انك سوف تنام .. لكنك ايضاً لا تستطيع .. تبقي طويلاً تُحدِّق فى السقف ، وخيوط العنكبوت المدلاة .. تنظر الى ساعتك ودون أن ترتدى ما يقيك البرد والامطار تخرج لتفر من مواجهة الظلام وأطيافه العديدة .. تتخبط قدماك فى الارض الموحلة بلا هدف ، وتتقصي زحام الطرقات ، وروائح الامكنة العتيقة .

هذا الليل اثقل على صدرك من سنوات غربتك .

لم تعد ماكنته في القديم ، أصبحت تخاف ضوء النهار والضجيج والالوان ... ها أنت تبحث بلهفة على عتمة ستيلا ... وتقول لنفسك ان لم تتذكر مكانها سوف تمضى سريعاً الي جوف البدروم الرطب .

fb/mashro3pdf

2

تعبر الشارع ذا الاتجاهين ، وأنت تشير للسيارات المارقة أن تهدىء من سرعتها.. ترى امرأة جالسة بجانب الامريكين تتسول وبجانبها طفلاها غارقين فى النوم . كانت بطونهم عارية ومنتفخة. عن يمينها ويسارها عساكر يقفون بظهور متخشبة ووجوهٍ للجدران . خوذاتهم في الليل لامعة لها وميض .

لم تحقق ما وددته أبداً.. أن تركب تاكسيا ، وتنفق ببذخ فى المطاعم الفاخرة ، تأكل أصناف الدجاج التى لن تستطيع حفظ اسمائها مهما حييت .

تمر من سليمان باشا وتعبر واجهة سينما ميامى ثم مدخل سينما راديو والهيئة العامة للاستعلامات . تتوقف قليلا أمام الكتب التى تفترش الارض عند مكتبة مدبولى ، تنظر في ساعتك ثم تقرر أن تشبع نهمك فى تفحص الوجوه قليلاً قبل الذهاب إلى ستيلا .

fb/mashro3pdf

3

تبدو ستيلا مزدحمةً ومعتمةً وقليلة الهواء ، كما عهدتها. تلمح فيها ناصر عبد الباقى الصحفى بالاهرام واسامة رضوان الشاعر خريج الحقوق ، تقترب من منضدتهما ، بينما كان اسامة ينحني يقشِّر الفول السودانى ويلقيه في فمه . يلمحك ناصر فيهتف باسمك .

ينتبه اسامة ، يعانقاك ، وفجأة ترى علاء قادماً من بين المناضد . تغيب في صدره حتى تغرورق عينك بالدموع . يحضر اسامة كرسيا من جانب المنضدة القريبة ، وينادى على عم جرجس ليأتى بزجاجة براندى كاملة ، يسألونك عن اخبارك ، فتجيب بعبارات مقتضبة ، وعن حال المصريين .. فتؤكد انك لست على علاقة بالمصريين الذين هناك .. كنتَ عازماً على الا تتحدث عما

fb/mashro3pdf

رأيته من المصريين ومن غيرهم .

وتسألهم فيتفرق الكلام بين افواههم . يخبرونك عن لقاءات الاصدقاء التى ندرت ، وعن فريال التي تركت فتحي مراد الشاعر لتتزوج مجدى .

:- لكن مجدي مشكوك فيه . ولا تقصد مجدى تانى؟

:- لا . هو ، بغباوته .

تسأل عن ابراهيم فيقول علاء أنه لم يحضر بعد . تقول انه وعدك اكثر من مرة ببيانات حرب الخليج .. يقول اسامة وهو يقذف حبات الفول السودانى في فمه :- ألا زلتم تعيشون فى الوهم .

ويقول ناصر كلاماً كثيراً عن المباحثات السرية التى اجريت بين اقطاب التحالف من أجل تحرير الكويت دون اراقة دم امريكى واحد .

يقول علاء :- لكن صدام لن يحدث له شيء .

:- هذا مفروغ منه ، فمن الذي يحقق كل المصالح المرجوة من المنطقة غير واحد يتمتع بذكائه .

لا تزال صامتا . هل أنت خائف ؟

fb/mashro3pdf

تمد يدكَ الى كأس البراندى .. وكانت أمك تصرخ . تحاول ان تمنعها من الخروج خلف احمد ، وهى تلطم وتولول ، وتضرب رأسها بيديها الاثنتين . كان ابوك غارقا فى عجزه فوق الكنبة ، وينظر ناحية الباب الذي ساقوا منه احمد . أما أختك هناء فكانت تتعقب حملة البنادق في ذهول ، وهى تلوك اسم أخيك دون أن يرف جفنها . ظلت أبواب الجيران مغلقة.. وانت في مكانك سمعت فرامل السيارة التى تقل الضباط عالية الرتب وخلفها البوكس بداخله احمد بين الجنود .. وعندما ابتعدت السارينة حتى تلاشى صوتها . فُتحت الابواب والشبابيك ، توافد الناس دون حصر . احسستَ مع قدومهم هول ما حدث . وعندما شاركت النسوة أمك العديد نظرت إلى الارض وطفرت دموع من عينيك دون ارادة .

fb/mashro3pdf

4

تحس طعم البـراندي لاذعـاً ، لكنك كنت تفـضل ان تشرب هكذا دون مزة ودون اى اضافات ، خاصة في تلك اللحظات التى تهوى ان تغيب سريعا .

يزداد الصخب مع مرور الوقت بينما الخمر تشتعل فى الرؤوس . يأتى ابراهيم ويصافح الجميع . يضع حقيبته فوق المنضدة ويربت عليها وهو يقول :- احضرت لك كل البـيـانات اللي انت عـايزها ، ومـعـهـا بيـانات التـأييـد والاحـتـجـاج للشـارع المصـرى ، انا قلت لك إنى مـهـتم بالموضوع ده .

:- تستاهل طلب مخصوص .

وتطلب من عم جرجس كأسين فودكا ... تحس بخفة رأسك ، وتبهت رغبتك في الصمت ... تود تصرخ وتلعن

fb/mashro3pdf

الجميع . نعم . الجميع. ما المانع ، كلهم ولاد كلب. قلت:-

- انا محصور.. واريد ان اتبول فوق رؤوسكم جميعاً.

يضحكون فتكمل :- ماذا لو أخرجته الان وأشهرته في وجه الجميع .

يسأل علاء صديقه اسامة :- ماذا تسمي هذا يا لورد.

:- قتل مع سبق الادرار ؟

ويغني :- قتلوني وباين في عينيهم .. قتلوني .

:- قصدك في ايديهم .

:- .....

صراخ وصيحات وضجيج . رجال تجري ونساء تهرول، ضامات أيديهن على صدورهن مخافة ان يرقب احد اهتزازاتهن . عيون شاحبة تحدق في هلع .

:- يا لهوي

:- الحقوه يا ناس .

:- إستني شوية يا محروس ما تتصلش بالقسم .

وتأخذك انتفاضة فتهرول معهم دون أن تدرى الي أين، بل تفتح أزرار قميصك كله حتى يطير خلفك ، حين

fb/mashro3pdf

يتوقفوا تقف، يجري بعضهم الى عتمة البيت ، لكنك لم تجازف وتقف مع الذين تبقوا ، لحظات تبدو من العتمة أشباحٌ .. حينما تتحقق منها تجدها ثلاثة من الرجال يحملون امرأة ترتدى ثوباً اسود، شعرها الاشيب محلولٌ ومنديلها معلق على ضفيرتها الساقطة .

ينزف من صدرها وبطنها دم احمر فاتح اللون وغليظ القوام . لم يمتد الصمت طويلا وانما أخذت الصيحات تتصاعد بعد ان جاء البوكس واخذ الابن والسكين وشَمَّع الشقة بالشمع الاحمر . وانفجر الصراخ والعويل وامتدت اذرع النساء الي السماء مولولة ، وقتها كان الخوف يطبق فوق صدرك . فهرولت راجعاً وانت تَلُم قميصك فوق بدنك العاري وتزرره .

وعندما دخلتَ البدروم كان وجهك الشاحب بلا قطرة دم واحدة وقبل ان تراها زعقت

:- أَمَّه . أمَّه.. شفتى اللى انا شفته ؟

تأتى اليك وفي ذيلها فرحة وهى تعرج ، رويت لهما وانت مبهور الانفاس ، ولا تدري إن كنت فرحاً بما تحكي ام انه الفزع لا يزال يتمكن منك ..

fb/mashro3pdf

5

يتوافد آخرون ، يأتون لمصافحة أحد الجالسين على المنضدة .. لم يلتفتوا اليك إلا بايماءة مساء الخير السريعة غير المدققة . تنظر اليهم ، بجفونك التي بدأت تتراخي .. وتتذكر فؤاد ، ومحمد الضبع ، ورؤوف . واياماً كنتَ معذباً معهم باحلامك وأوهامك ، والدخان الذي تزفره في وجه العالم .

مضي كل شيء، منذ أن رست ظلالك فوق تلك الارض ، التي لم تعد فيها سوى عبد .. تؤمر فتطيع وتلبي .

يسهب اسامة طويلا بينما فؤاد يحدق فى ملامحك واخيراً يتذكّر. يرفع كفه بابتسامة تمثيلية :- فارس ؟ ازيك ؟ فينك يا راجل ... وعبارات لا بد منها ، ثم يتحول الى اسامة ويسأله عن شريط الكاسيت الذي يحوى اغاني

fb/mashro3pdf

من تأليفه . تفاجأ ، وفي أول فرصة يلبى فؤاد هتاف مناد عليه من منضدة أخري ويمضى ناظراً اليك من فوق كتفه.

:- هاشوفك تانى . هه ؟

تتحدث مع أسامة فى موضوع الاغاني . فيقول :- سُنة الحياة ، هذا زمان الاغنية الشبابية.

تقول :- والشعر ؟

:- سلم لي علي الشعر .. اين الذي تكتبه انت ؟

يقول علاء ربما ليغير الحديث :- اسامة يكتب بالعامية الآن . وطلب منه ان يُسمعك شيئا . يرفض اسامة فتتواتر الاصوات التي أَجْلَتْها الخمر تطلب من اسامة سماع شيء وخصوصاً لاجلك، ينظر اسامة الى الكأس أمامه ويسبل جفنيه ، يدخل فى تلك اللحظة التي اصبحت ذكري ويقول بهدوء قصيدة مفتتحها :-

:- يا نجمتين

يا نجمتين مش مشتاقين للضى

يا زهرتين مِضفَّرين بالشوك

بُكرة النهاردة جاى

fb/mashro3pdf

ولاّ زمانه فات

.....

.....

عندما ينتهى تكون زجاجة البراندي قدإنتهت ، فيما انت مائلا برأسك علي المنضدة دون مساندة من ذراع . تغالب النعاس والعرق السيال مع الذكريات ، وتغني بابتسامة نشوانة : مصر هى امي .

ثم ترفع رأسك في اعياء، تتنفس بعمق وتسأل ناصر:

– فاكر ؟

يبتسم ويشرد في البعيد ، يقضم قطعة جَزَر ولا يقول شيئا. كان الدوار قد بدأ يسيطر على رأسك . وتنميل اطرافك مُدْرَكاً ، تقول لاسامة :– جميلة ، ولكن انت تخليت عن مشروعك ؟

يضحك هازئاً : – من منا لم يتخلَّ عن مشروعه . انني لا اكتب سوى هذا التخلي .

يقول علاء :– الشعر فى القديم كان يتحدث عن الناس الذين كانوا في بلادي ، جارحين كالصقور ، اسامة

fb/mashro3pdf

يحاول الان ان يرثيهم بعد ان صاروا جيفة ، وبلغة مضادة للغة الشاعر النبي صاحب الدور نحو مجتمعه .

يقول اسامة مستنكرا :- انا لا ادعى ذلك .

ويقول إبراهيم بهدوء :- الإشكال ان كل جيل يعبر عن هموم عصره .. ونحن جيل ليس لنا قضية ، هذا نفس الإشكال الذى وقعت فيه الاجيال السابقة علينا مباشرة ، لكنها ارتكنت الى إدعاء القضايا .. بينما نحن نعترف بأن لا قضيةَ لنا . ولا يوجد فى شعرنا سوى ما هو عادى ومألوف وغير مُعتنى به .

يقول اسامة :- هذا تنظير ، وانا اكتب دون ان أحفل بقصدية ما . كل ما يهمنى هو القبض على لحظة التوتر .

ويتدخل ناصر فى المناقشة ، وتظل تتابع برأسٍ ثقيلة .. مش مشتاقين للضىّ . يا نجمتين .. يا نجمتين مش مشتاقين .. مش مشتاقين .. لا تملكون سوى ما تتشدقون به في الجحور ، وتتشاجرون حوله ، ثم يعود كل منكم الى قبوه الداخلى . ولا يتأثر حتى الهواء الذي يمتلىء بسحب دخان السجائر

fb/mashro3pdf

6

عندك رغبة جامحة لتحكي عن ايام غُربتك التي تقاسيها ، حيث ماتت فيك كل الخلايا الحية والاحلام . لماذا لا تحكي لهم ؟

:- مم تخاف ؟

تثرثر بأشياء لا تذكرها بينما عيناك هنااااك، ترى مالا يراه غيرك ، النخيل ، السماء، الرمال الجاثمة فوق صدرك . الرمال المخلوقة من اجل ان تجثم فوق صدرك . صدرك وحدك .. تتوقف طويلاً عند كلمات لا معنى لها ، تتذكر انك قلت سهام ، فجأةً ودون مقدمات .. تسأل ناصر عنها بدهشةٍ عندما سمع الاسم . لكنكَ ما عدت تذكر غير تلك العينين التى تقتل الغضب وتزيح عن رأسك ما أعددته من اهانات .

fb/mashro3pdf

: – اللعنة .

وتنادي على عم جرجس ليأتى اليك بسترته البيضاء العتيقة . تطلب زجاجة اسكوتش تقول :

– امال يعنى كنا بنسافر ليه ؟

دموعك قريبة ، وتريد ان تتذكر اى شيء لتشعل احزانك وتفور دموعك ، وكان لك ما تريد ، مع كل كأس كنت تستسلم اكثر لكل ما تَودَّهُ من اعماقك .

هل قلت : اللعنة ؟

لا ..

بل قلت سهام ،

وناديتها لعلك تجد أثراً منها ، تراها وهى جالسة فى مواجهتك علي المرتبة العارية ، وخلف شعرها الطلاء يتقشر . تتمني ان تخرج من جيبك قطعة الحشيش والمليم الصدىء، تمسكهما بيمناك ويسراك، وتقول :

– هذه بقاياى، فأين انت ؟

تتمني ان ترفع مئات الاقنعة عن وجهها وتسحب من صدرها الحزن القابع .

fb/mashro3pdf

تشرب ، وكان ناصر يشرب ، وكان اسامة يشرب ، .. كلكم .. كلكم تشربون ، انت تشرب نخب سهام ، وفرحة لا تستطيع ان تُطْلِق صرخة الموت ..

واصلوا الشرب ، واصلوا .. بعد زجاجتين تكون لكم حبيبة عصيّة واختاً قتلتموها بأيديكم ، اشربوا .. اشربوا يا ولاد الكلاب .

تنتبه قليلا علي قشعريرة جسدك .. تقول : الدنيا برد؟

فيضحكوا ويعلق بعضهم بعبارات ساخرة خفيضة، يستأذن ناصر ليقوم .. فيمسك به ، علاء لكنه يصر .. يكلمه اسامة حتي يقنعه ، يراودك ان تقول له بعد ان يجلس :-

:- لن نكون أبداً أقوياء طالما لا نستطيع أن نتخذ قراراتنا بأنفسنا .

تفكر في جدواها وعندما تتلفظ ب " لن " تراهم يغيبون عنك فى عتمة الاضاءة المغبشة بالبخار ودخان السجائر وعينيك الزائغتين، تستسلم للعتمات التى تبتلع الاشياء... هل كانت كل الاشياء هامة ، وضرو... ضرورى أن نراها.

fb/mashro3pdf

اَكَدَتْ انها حَسَّاسة جدا وطيبة – والله– وانها لا تستمع الي نداءات من يرغبونها .. فهل صدقتها ؟

وعندما مالت علي كتفك ، وأزاحت خصلة شعرٍ عن عينيها قالت انها تشتهى البراح والرقص لكنها تَخْجَل من العيون التي تمتص جسدها .

هل صدقتها ؟

تساءلت : ولماذا صدقتها ؟

قالت أنها تكره مشيتها ، والاحذية ذات الكعب العالي ، وتكره تصفيف الشعر امام المرآة وصدقتها ، وفى راحتيها اخذت تبعثر قبلاتك ، رغم انك لا تحب القبلات ، لأنك تحس دائما في حضرة النساء أن رائحة فمك كريهة.

fb/mashro3pdf

7

فوق البار ثلاثة يشكلون جوقة ويصيحون بأغنية عبد الله الرويشد . يدندن معهم علاء ويتبعه اسامة عندما يقولوا :-

:- بيتي وبيقول بيته اللي جه يعتدى .

تتصاعد النهنهات ، فتأخذ رأس اسامة تروح وتجيء معها :- الحرب .. استعادة الارض السليبة ..

صاح بيومى ..

:- ما اخذ بالقوة لايسترد إلا بالقوة ..

وينهض .. يخطب ، ويلوح فيرتج الجميع من الضحك .. يقول علاء :- عبد الناصر ياخىّ !!

ويرجعوا الى الاغنية مع الثلاثة فوق البار .. حتى

fb/mashro3pdf

وصلوا إلى :- اللهم لا اعتراض.

يتعالى صياحهم.. ينضم اليهم آخرون حتي تتزلزل ستيلا كلها عند نهاية الاغنية :- اللهم لا اعترااااض... لا اعتراض"

بعد ذلك سوف ينتحب محمود درويش قبل أن يقطع أوتاره :-

:- فى المساءِ الاخير ، علي هذه الارض .

نقطعُ

أيامنا

عن شجيراتنا ، ونعدَّ الضلوع التى سوف

نحملها معنا

والضلوع التي سوف نتركها ، هَهُنا .. في

المساء الاخير .

لن نودع شيئاً ، ولا نجد الوقت كى ننتهى ..

كل شيء يظل على حاله ، فالمكان يبدل

احلامنا

ويبدل زواره ، فجأه لم نعد قادرين علي

السخرية

fb/mashro3pdf

فالمكان معدٌّ لكى يستضيف الهباء .. هنا

فى المساء الاخير

تتملي الجبال المحيطةِ بالغيمِ : فتحٌ ..

وفتحٌ مضاد

وزمانٌ قديم يُسلمُ هذا الزمانَ الجديد

مفاتيحَ ابوابنا

فادخلوا ، أيها الفاتحون ، منازلنا

واشربوا خمرنا .

من موشحنا السهل ، فالليل نحن اذا

انتصف الليل ، لا

فجرَ يحمله فارس قادم من نواحي .

الأذان الاخير ..

شاينا أخضر ساخن فاشربوه ، وفُستقنا

طازجٌ فكلوه ،

والاسرَّة خضراء من خشب الارز ،

فاستسلموا للنعاس

بعد هذا الحصار الطويل ، وناموا على

fb/mashro3pdf

ريش احلامنا
الملاءاتُ جاهزةٌ ، والعطورُ علي الباب
جاهزة ، والمرايا كثيرة
فادخلوها لنخرج منها تماماً ، وعما قليل
سنبحث عما
كان تاريخنا حول تاريخكم في البلاد
البعيدة
وسنسأل انفسنا في النهاية : هل كانت
الاندلس
ههنا أم هناك ؟ علي الارضِ .. ام في
القصيدة ؟

وكان زغب الإبط نحيلاً ، تحققت منه عندما شبكت ذراعاها خلف رأسها في حركة تنفض بها اثارتك . كانا مُستديرين وعفيين . فاتحدت ظلالكما حتى قالت بشبق وشفتاها ترتجفان :-

:-اقتلنى .. اقتلنى .

fb/mashro3pdf

واستدارت وهى بين يديك بهدوء ونعومة لتسلم لك جسدها من الخلف ، فرفعتَ جدائلها واخذت تقبل منابت الشعر ، ثم كسرت حافة كوب الماء الطويل رقيق الزجاج ، بانت شفرة حادة ، غرزتها في قمة ظهرها دون عنف ، سمعت آهة تند وتسيل بإغواء الالم المستسلم الملتذ .أحمكت أصابعك حول الكوب وأخذت تنزل به الى اسفل فى وهدة سلسلة الظهر حتى اقتربت من نهايتها .. وعندما رميت الكوب واستمتعت بصوت تهشمها فوق البلاط العارى . كانت سلسلة الظهر قد فارت بالدم الذى تفصد وانتشر ، فانحنيت واخذت تلعق وتمتص صاعداً صاعداً الى ذرى النشوة بينما هي تتلوى وسط آهاتها

بعد ان تنتهى الاغنية تضجر من الصخب الخانق حول الحرب . تتساءل لو كنتَ هناك . مع اى طرف ستحارب؟! فتقولها باهتة .

:- لا ادرى .

لا اعترااض .. لا لا !!!! . لا اعتراض .

fb/mashro3pdf

وتشيح بيدك فتقع الزجاجة وتندلق على الطاولة الممتلئة بقشر الفول السوداني .. تبتسم لما صار ، وترفع الزجاجة بيدك وتسكب منها فوق الطاولة القذرة . يخاف اسامة على البراندى ، فيخطفها من يدك ، وينادى جرجس ليمسح ، فيأتى .. فوطة ويدٌ ممتدة.. ينشف ، ويمضى فى صمت كما أتى . يروح .. هيء هيء . هييء

ولا تدرى من أين يأتى ابرهيم بهذه الجدية ، التى لا .. لا تفارقه .. يقول لغطاً كثيراً . لا تدرى ما جدواه . لكنك تحاول ان تسمعه . كما يحاول ولاد الكلب الذين يشربون من دمك ويخافون عندما تسكبه ..

:- اشعر هذه المرة ان انتخابات النقابة كانت خسارة حقيقية ، كان هناك أمل . لماذا نضيع كل الفرص من ايدينا ؟

تحس ان المسافة بينك وبين هؤلاء قد غَدَتْ بعيدة .. وبينك وبين بلاد الغربة ايضاً . أين انت الان ؟ هَهُنا أم.. هناك ؟ على الارض أم في القصيدة

fb/mashro3pdf

8

مثانتك تكاد تنفجر .. ترغب مرة أخرى ان تقف فوق المنضدة .. تخرج قضيبك ، وتَفُكَّ نفسك فوق رؤوسهم ، لكنك لا تستطيع ، وانت سكران ايضا لا تستطيع !

تتساند، تقوم ، تكاد ان تقع وانت ذاهب الى المبولة الممتلئة ، تُزيد ما فيها وأنت تبكى تلك القضبان الضاربة فى أعماق نفسك ، والتى لا تستطيع الافلات منها ابداً . ابداً .

عندما ترجع وتجد علبة سجائرك قد خلت ، فتطلب ممن معه سجائر أن يعطيك مما اعطاه الله .

دوماً تحب أن تراها وهي تدخن حيث تندمج تماماً وهي تمتص السيجارة ، فيتأجج جمرها وجمرك .. كانت تغمض عينيها وتحتضن مبسم السيجارة بشفتيها فى

fb/mashro3pdf

نهم . فتتابعها بإثارة تفصح . وحينما كنت معها أخيراً، أدهشَها أنك تعطيها سيجارة، لم تكن ترغب.. فألححتَ.. سألتكَ :- لازم يعنى ؟

فاومأتَ لها بتوسل ، هل كانت تدرى ماوراء رغبتك ؟

فيم يفكرون وهم يشربون معك الآن ؟. فى حبيباتهم القدامى اللاتى هجرنهم ، وفيم تفكّر حبيباتهم الان ؟ فيمن فتحهن وهرب .. فيمن نال منهن وطراً ويماطل . يقرع الساقى عند البار الكئوس قبل ان يضعها فوق الصينية . فرحة فى القرافة . تراها . وتخبرهم .. ربما من تقاليد البلاد المصرية منذ القديم ان يكون هناك ضحايا للاشياء التى تحدث . الفيضان ، وعروس النيل . فرحة ، عروس النيل . لا . فرحة . المسيح .. فرحة ليست سوى فرحة.. بالمنديل والجلابية . والابتسامة الحزينة .. الحزينة.. التى تشبه صوت الناى .

fb/mashro3pdf

9

أصداء الصخور التى تهوى داخلك لا تحتملها ، ما كرهت أحداً ابداً .. الكراهية .. الابتسامة .. الحزن .. كلمات بنت كلب .. نجاسة فمٍ مهترىء ، وسرعان ما ينتهى كل شىء . وتصيرَ مثل ابيك .. عجوزاً .. تطاطىء لكل من يعلوك .. علشان ما نعلى ونعلى ونعلى .. لازم نطاطى نطاطى نطاطى .. ترفع رأسك تدندن .. بصوتك المفتقَد :-

- علشان ما نعلى ونعلى ونعلى .

يقول الجالسون :- لازم نطاطى نطاطى نطاطى ..

يطأطئ اسامة رأسه الى أن وصلت تحت المنضدة. تضحك. تضحكون بالدم.. موع. فيرفع هامته وهو يقول بسرعة

fb/mashro3pdf

:- علشان الشوك اللى في الورد بحب الورد.

تنزع عنك العازل بيدها البضة التي لا تزال بها رعشة الانفعال ، ثم تتحسس عضوك بفخذها وهى تحتضنك. تتركها وتذهب الى الحمام . حاملاً معك العازل، تلقيه في المرحاض مع رائحتها التى اثقلت روحك. وماعدتَ تطيقها .

تبدو فاتراً بعد أن علمتَ انها ليست بنتا كما كنت تظن طوال تلك السنوات . هذا ببساطة كان همك . الذي لو اخبرتها به فربما انكفأتْ علي ظهرها من الضحك .

:- متي تسافر ؟

يكررها ناصر فتقول دون ان تنظر لشيء :

- في طائرة السابعة صباحاً .

:- ومتى تعود ؟

لم تنطق ، فيقول ناصر :- اسرع واشترك فى أى جماعة هناك . عليك مثلاً بجماعة الامر بالمعروف والنهي

fb/mashro3pdf

عن المنكر .

تندهش ثم ترفع كوب البيرة الممزوج بالاسكوتش .

:- .. ممكن والله

يستفهم علاء . فيقول ناصر بجدية لا تتناسب مع بريق عينيه وثقل لسانه.

:- الضرورة .. الموجة بعد ازمة الخليج للأصوليين. لا لشيء آخر.

يفكر علاء :- فيه صعوبة على كل حال .

يقول ابراهيم :- انا لا أوافق على هذا الافتراض. لكن هناك اسبابا عديدة تجعل الأصوليين قادرين على استقطاب الرأى العام بسهولة.

يقول علاء :- أظن أن هذه السهولة فى استقطاب الرأى العام. هى التى ستجعل الدولة لن تتهاون معهم، حتي تقضى عليهم تماماً . لان المسألة بالنسبة لها مسألة حياة أو موت .

يقول ناصر : يا جماعة انتم نسيتم امريكا .. من مصلحة امريكا ان تقابل مصالح اسرائيل فى المنطقة فى

fb/mashro3pdf

ظل التيار الدينى المتحكم فى الكنيست بتيار دينى مقابل . من اجل ان تجعل المنطقة فى حالة غليان ، وعلشان لا يقال ان اسرائيل هو البلد الوحيد الذى يقوم علي اساس عقائدى ، وانما المنطقة كلها تحكمها الغيبيات .

تحس بثقل رأسك . وأنك لا تفهم .. فتسب العرب ودين أبيهم ثم تشرب ، تدمع عيناك دون بكاء ، تمسحها غاضباً .. ثم تَسُب دين المصريين ودين اهلك . ودين العيشة والذين يعيشونها .

الناس يهتفون فى كل مكان ايريال. ايريال. ويصفقون لاميجو اللى بينور ، فيجب ان نُسلم ونفسح الطريق للركب المنتصر، إنتهت تلك الكلمات ، ولم تعد سوى اوهام.، تعشش فى رؤوسكم فقط .

تشرب ثم تقول يجب ان نسلم ، بأن كل الامنيات لم تعد ، وان حلمنا بالسلام والدعة والقدرة على امتلاك المستحيل ، ليس سوى سراب .

يظل الجميع فى شرود، تحس بحمم من نار فى معدتك ورعشة تتملكك، ماعدت تطيق المكان، ولا الجالسين..

fb/mashro3pdf

تشعر برغبة فى ان تلعن أبوهم .

تنادى عم جرجس :- الحـ .. حساب ؟

يقولون : انت ضيفنا .

وليس عندك احتمال لتُصبرّ ، فتوفر نقودك ، وتنهض بينما رائحة المكان تخنقك .. تتساند على المنضدة فتنفلت يدك ويرتطم رأسك .. جسمك مخدر و روحك غائبة .. وقدماك لا تحتملانك .. يقومون معك ، وتريد ان تقول لهم دعونى . لكنك تحس انهم يطبقون آخر فصول المجاملة . ألا يدرون ان امك كانت تصنع الرقاق فى الاعياد لتبيعه وتكسب حفنة قروش . تلقي السلام على عم جرجس وتتركه والرفاق، يَلُمُّ وحيداً صمت المساء مع الزجاجات الفارغة والاطباق .

:- وحـ ... وحـ ..

وحوي .. يا وحوى

هيء هيء هيء .

مازلت تقول الشعر يا ابن عبد الدايم.. يا خيبتك !!!!

fb/mashro3pdf

10

رغبتكَ فى القىء لا تستطيع مقاومتها ، ورغم أن هواء الكورنيش كان حاداً وعاصفاً ، تفتح الجاكت وتكشف صدرك . تود أن تفتح القميص وتتعرى ، تطوح كل الاشياء بطول يدك ، تطلق سراح جسدك للهواء النقى ليجتاحك ويُصفِّيك . تثب دموع غريبة على عينك وتنثال، فتدارى وجهك بين كفيك . وتكتم بكاءك ، فتنداح الدموع وحدها وتسحَّ . تود دوما أن تشرخ صدرك بالبكاء ، وبالطبع من الممكن ذلك . لكنك تأبى، لتظل فارساً . أمام نفسك المخدوعة فيك.

يلومك ناصر على حزنك . ويظن انه بسبب اقتراب السفر . ينصحك اسامة بأن تتذكر رصيدك فى البنك عندما تكتئب .. فتقسم له ان لا نقود لديك فى اى بنك .

fb/mashro3pdf

أنت ايضا لا تصدق . رغم أنها الحقيقة .

وتزيد رغبتك فى إلقيء ..

والآن في المنتصف تماماً فوق الكورنيش . امامك علي اليسار تسكن سهام فى تلك العمارة التى تتحدى النيل وعلى يمينيك هيلتون النيل وسميراميس وشبرد .

الشعر المنسال عن يسارك والاضواء الراقصة عن يمينك .. وتحتك كان النيل يمضى ذاهباً .. تحدق فى الامواج الصغيرة، تراه هناك فوق الماء . بقميص مفتوح ومهترىء . وشعر مغبر .. هو .. للمرة ال... للمرة الكم ؟ عزمت على أن تمضى اليه وتسأله من انت؟.. وما له يحدق فى عينك هكذا ؟؟ ترفع ساقك اليمنى فوق سور الكورنيش وعينك لا تفارق عينه . تجد ايد ممتدة تمسكك من كتفك وتمنعك . لم تكن بك قدرة للمقاومة . فتنهار علي الارض ، تهوى ..

يشترى ناصر سميط من امرأة ، تمر فوق الكوبرى ويوزعه عليكم .. ترفض .. يلحّ :- غير طعم بقك ..

تحس القيء فى حلقك . فترفض وتنهض .. وبعد ان

fb/mashro3pdf

مشيتما قليلاً .. لم تستطع التحمل .

تزيد رغبتك فى القىء فتهرول نحو نهاية الكوبرى سريعاً والقىء يكاد يطفر من حلقك .. تجري تحت أسد قصر النيل تزعق :

- أُع ع ع ع .. أُ ععععععع

يفترش السائل المخضر الذى تشوبه الحبيبات الصفراء رخام مقدمة الكوبرى ، يأتيك ابراهيم وعلاء واسامة وناصر . يتلهى ناصر برؤية ساعته حتى لايرى . ويضع علاء يده على ظهرك وانت منحنٍ :

- لا تطاوع نفسك .

تتقيأ حتى يفرغ جوفك تماماً . لكن رغبتك لا تنتهِ .. تدس إصبعك في الداخل وتواصل :

:- أُ ع ع ع ... عععععععع .

يأتى عسكرى المرور يسب ويلعن ويعقبه البوكس الذى يمر ، يصرخ الرائد بداخله

:- تعالى يالَه انت وهو، بطايقكوا فين ؟

يوبخك اسامة ، ويذهبوا الى الرائد ، ثلاثة كارنيهات

fb/mashro3pdf

لنقابة الصحفيين ويخرج ناصر كارنيه نقابة المحامين . لا يحفل بما يراه ويسب اهاليهم وينادى عليك .

على حالك منكفئاً على السور ، ولا تستطيع ان تصلب طولك ، يجذبك العسكرى بعنف ، فتذهب ناحية البوكس ، وكل الاشياء غائمة أمام عينك وتقلصات معدتك تفتك بك ، تعطيه جواز السفر. وتخرج المحفظة وتعطيها لعلاء ليخرج منها كارنيه نقابة الصحفيين . تميل بجذعك وتستند بيدك اليمنى على مقدمة البوكس . يتفحص الكارنيهات والوجوه ويتساءل باستهزاء :-

:- وفيه ناس محترمة . تمشى سكرانه فى الشارع ؟

يخبره اسامة انكم لستم سكارى :- وانما فارس .....

ويضع ذراعه فوق كتفك . :

- سوف يسافر بعد ساعات، لذلك حالته النفسية سيئة.

تغتبط لخيال اسامة الذى يسعفه وقت الملمات . وتقول ما الداعى ؟ وترفع وجهك لتتحقق من وجه الضابط، فتجد أنك وحيد ، بمواجهة عينين لا ترحمانك . كان وحشاً

fb/mashro3pdf

ضخماً ويشبه والد سهام الذى رأيته كثيراً فى صورها العائلية .. تنتابك رغبة فى ان تتقيأ فى وجهه وتضربه . تأخذ شهيقاً بصعوبة وتبصق ثم تقول بجفون مرتخية :- اللى تقدر عليه اعمله ؟

يصرخ :- انت بتبجح كمان ،

يَرمى بجواز السفر والكارنيهات على التابلوه امامه ويقول :-

:- إركب البوكس يا روح امك انت وهوه .

يستسمحه ناصر ويحاول علاء تهدئه الموقف . تزعق في ناصر وتقول :- سيبه ، اعلى أع .. اعلى ما في خيله يركبه .

يهمهم الملازم الذى يجلس خلف عجلة القيادة وينتفض خارجاً ، يمسكك من ياقة الجاكت ، ويسب دين أهلك . اجتاحتك رغبة لان تضربه وتقتله وتتبول عليه وعلى امثاله. أزحت يده بيدك الواهنة المرتعشة . تفتح البنطلون محاولاً اخراج ذكرك . لكنه عاجلك بالصفعات .. يجرى الصول ويساعده فى الضرب فتنهال لكماته اسفل رأسك .. تهوى

fb/mashro3pdf

على الارض ، وتقوم تدافع عن روحك التى تنسحب منك . ينتابك هياج . تقذف بجسدك ناحية الضابط، تضرب دون أن تدرى أين ، فينهال الرائد لطماً فوق وجهك ، ويندفع علاء واسامة يدافعان عنك فى اول الامر ثم ينقضان على الصول ، والجنود تنزل من مؤخرة البوكس . يصرخ ناصر في أذنك وهو يحاول منعك .

:- ها تودينا كلنا في داهية .

تتخلص منه ، تجرى باحثاً عن الطوب لتلقيه على الضابط والبوكس وواجهة سميراميس وصمت الليل .. يندفع الضابط ومعه بعض الجنود باتجاهك . تقاتل مدافعا عن نفسك قبل النزع الاخير الذى تحسه يقترب .

لحظات وتصير مكوما بين الرصيف والاطار الضخم للبوكس وقَدَمُ الضابط تواليك بضربات يُسددها الى بطنك ووجهك وصدرك وكأنه يريد ان يحشرك فى اطار البوكس الصلب .

ترفع يدك تضرب الهواء ، وتفتح عينيك اللتين غلبهما الاعياء . ترى علاء واسامة وابراهيم وناصر بين ايديهم

fb/mashro3pdf

يضـربونهم على الإقـفـاء بكل قـوتهم . والرائد ممسكا باللاسلكى يزعق فـيـه . ينتـهى الضـابط منك ويعطى اشارات الى الصول . يجروك من كتفك ويتجهون بك الى القاعدة الرخـامية لأسد قصر النيل حتى ترفع يدك إلى أعلى وتنظر باتجـاه الحـائط . مـثل الأصـدقـاء الذين سبقوك .

لا تقوى حتى على الوقوف ... فـيمـسكك الصـول من قفـاك ليحـافظ علي توازنك بضـرب رأسك في الرخام .. آمراً ان ترفع يدك لاعلى وهو يسبك . يزعق الضـابط وهو يرغي :-

:- فتشوهم واحد واحد.

ويجذب حـقيبة ابراهيم الملقاة فوق الرصـيف، يخرج قـبضـة من الاوراق .. كـانت بيـاناتات الحـرب وبيـانات التنديد والتأييد ضمنها .. يدسّ الاوراق بعنف في الشنطة ويرمـيـها من نافـذة البوكس فـوق المقـعد وهو يصـرخ :- كمان !!

لحظات ويأتى بوكس آخـر، ينزل منه جنود مسـرعين.

fb/mashro3pdf

تحاول أن تسب من يسبونك لكن صوتك لا يطلع . تقف تتحصن بالاستسلام.. من خلفك جنود يهرولون ليلتفوا حولكم مصوبين بنادقهم قرب ظهوركم ، وضابطُ برتبة لواء يجرى الرائد نحوه رافعاً يده بالتحية وهو يحدثه في لهوجة. يتقدم اللواء متجهاً إليكم معطياً إشارات بيده ليجتمع الجنود فوق رؤوسكم وينهالون عليكم بمؤخرات البنادق، ، وانت تصـــــرخ.. وهنـاك من يصـــــرخ ولا.....

.....

.....

fb/mashro3pdf

صدر مؤخرا عن (أصوات أدبية)

٢٦٨- مكاشفات شخصية ..... شعر : بهاء جاهين

٢٦٩- أقانيم ..... قصص : اسماعيل البنهاوى

٢٧٠- مرايا الذات الأخرى ..... رحلة : صبرى حافظ

٢٧١- ديوان غزالى ..... كابتن غزالى

٢٧٢- الصنم ..... رواية : أشرف الخمايسى

٢٧٣- منازل القمر ..... قصص : سُمية رمضان

٢٧٤- مواقيت البهجة ..... قصص : عزت القمحاوى

٢٧٥- عضم خفيف ..... شعر : سعدنى السلامونى

٢٧٦- حافة الود ..... رواية : نبيل نعوم

٢٧٧- صانع الصدمات ..... قصص : أسامة خليل

٢٧٨- السبعة ..... شعر : عادل عزت

٢٧٩- عشرين سنة على سلم المترو.. شعر : حمدى عبد العزيز

٢٨٠- ضرورة الكلب فى المسرحية... شعر : جرجس شكرى

٢٨١- نجع السلعوة ..... رواية : أحمد أبو خنيجر

٢٨٢- طائر الفخار ..... شعر : محمود نسيم

fb/mashro3pdf

٢٨٣- كائنات هشة لليل ..... رواية : صلاح والى
٢٨٤- قبض الريح ..... قصص : شحاته عزيز جرجس
٢٨٥- أغادر جسدى ..... شعر : أحمد السواركه
٢٨٦- بعدين ..... شعر : صلاح الراوى
٢٨٧- الوفاة الثانية لرجل الساعات ..... رواية : نورا أمين
٢٨٨- عبير الكمنجات ..... شعر : عزت الطيرى
٢٨٩- نتهجى الوطن فى النور ..... شعر : سمير الفيل
٢٩٠- رائحة النعناع ..... رواية : حسين عبد العليم
٢٩١- امرأة يروق لها البحر .... شعر : عبد الناصر هلال
٢٩٢- قوة الحقائق البسيطة ..... شعر : عزت عامر
٢٩٣- شهيد الوطن ..... شعر : متولى عبد اللطيف
٢٩٤- الكوشة ..... رواية : أمين ريان
٢٩٥- عالم تانى ..... شعر : عمرو حسنى
٢٩٦- جاليرى يعرض صوراً مسروقة شعر : أحمد مرسى
٢٩٧- حديث الحجرات ..... قصص : مجدى حسنين
٢٩٨- أبناء الخطأ الرومانسى ..... ياسر شعبان
٢٩٩- بيت النجار ..... عبد الحكيم حيدر
٣٠٠- موسيقيون لأدوار صغيرة ..... فتحى عبد الله

fb/mashro3pdf

٣٠١- بدرية الاسكندرية ..... حسنى بدوى
٣٠٢-المسروق فضاؤه ..... يوسف وهيب
٣٠٣- طريق للحفاة ..... محمود قرنى
٣٠٤- - قبل وبعد ..... توفيق عبد الرحمن
٣٠٥- حياة عادية ..... محمد صالح
٣٠٦- أحلام بدرية ..... على الشوباشى
٣٠٧- باب الصبابات فصل الخطاب ..... حسن طلب
٣٠٨- الحب والحزن والحنين ..... سامى فريد
٣٠٩- يبدأ هكذا ..... جمال القصاص
٣١٠- مختارات ..... ماجد يوسف
٣١١- مواسم العصافير ..... عبد الفتاح الجمل
٣١٢- أحلام محرمة ..... محمود حامد

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الأعداد القادمة

هكذا يعبثون ..... أمينة زيدان

الثناء على الضعف..... حلمي سالم

من حلاوة الروح ..... صفاء عبد المنعم

إطار الصور ..... يسرى أبو العينين

كنز الدخان ..... فخرى لبيب

اتبع نجمك..... بهيج اسماعيل

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

رقم الإيداع : ١٨٠٧٤/٢٠٠٠

الهيئة العامة
لقصور الثقافة

312

أصوات
أدبية

رواية

كانت الشمس البرتقالية فوق المياه، وثمة قوارب تتأرجح، وكنت تخط بإصبعك تخطيطات لا معنى لها، ولا تنظر إلى البحر أبداً. كانت تحكي حكايات لا تنفد. وتمد يدها بين لحظة وأخرى لتلملم أطراف التنورة التي يطيرها الهواء.

الأهل للطباعة والنشر

حمسون فرشا

fb/mashro3pdf